الروضة الندية

في الخطب المنبرية

محمد مختار محمود عبدالرحمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الـروضة النديـة
فـي
الخـطب المنبريـة

محمد مختار الباقوري
عفا الله عنه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٧/٩٢٤٥

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
خصائص خطبة الجمعة	٧
هدي النبي في خطبة الجمعة	٨
نصائح للخطيب	١٢
الخطبة الأولى: حلاوة الإيمان (١)	١٥
الخطبة الثانية: حلاوة الإيمان (٢)	٣١
الخطبة الثالثة: اسمع يا تاريخ	٤٧
الخطبة الرابعة: التوقيع الأخير	٦٣
الخطبة الخامسة: آثار المعاصي والذنوب	٨٧
الخطبة السادسة: التوبة الصادقة	١٠٧
الخطبة السابعة: الحياء من الله	١٢٣
الخطبة الثامنة: خطبة عيد الفطر	١٣٩
الخطبة التاسعة: خطبة عيد الأضحى	١٤٩
الخطبة العاشرة: يا سلعة الرحمن	١٦١

المقدمة

الحمد لله حقّ حمدِه، ونسأله المزيدَ من فضلِه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ المرسلين، وإمامُ النبيين، وقائدُ الغُرّ المُحَجلين، وصاحبُ الشفاعة العظمى يوم الدين، وصاحبُ المقام المحمود، وصاحبُ الحوض المورود، شرح اللهُ له صدرَه ورفعَ له ذكره، وحطَّ عنه وزرَه، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد:

"فإن الخطابة إحدى وسائل الدعوة إلى الله جل وعلا، وهي من أهم وسائل التربية والتوجيه والتأثير، لذا فقد كانت جزءاً من مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم إلى توحيد الله جل وعلا وطاعته، وتحذيرهم من غضبه وبطشه، وأليم عقابه؛ ليقلعوا عما هم عليه من ضلال وفساد عقدي، وخلقي، واجتماعي.

وما زالت الخطابة- أيضا- وسيلة ناجحة من الوسائل التي يلجأ إليها المصلحون، والعلماء، والدعاة، والقادة في كل العصور لتحريك العقول، وبعث الثقة في النفوس للدفاع عن فكرة معينة، أو النهوض بمهمة معينة.

وعلى رغم التأثير الكبير لوسائل الإعلام بأنواعها ؛ فإن من الباحثين من يذهب إلى أن الحديث المباشر بين الأشخاص، والمخاطبة المباشرة تؤدي إلى تغيير الآراء، والتأثير في الآخرين أكثر من الاستماع إلى الإذاعة، أو مشاهدة التلفاز، أو قراءة الجريدة، أو المجلة ونحو ذلك.

وكم من خطبة تناقل الناس عباراتها، واحتجوا بأفكارها، وتداولوها بينهم إعجاباً واستحسانا، وكم من خطبة أحدثت تحولاً في عادات الناس وتصوراتهم، وكم من خطبة فتحت باب الأمل والتوبة لدى بعض المخاطبين.

غير أنه بالمقابل ربما كان للخطبة آثارٌ سيئة، وأضرار خطيرة على المخاطبين من تهييج أو تيئيس، أو تناقل أخبار من قبيل الشائعات، أو نشر بدعة، وطمس سنة، أو بث فتنة وفساد بين الناس.

فإن المرء لا يكون خطيبا بمجرد صعوده المنبر، ومخاطبة الجموع، فالخطابة لها قواعدها، ومعالمها، وآدابها التي ينبغي أن يحرص عليها الخطيب حتى يكون ناجحاً فاعلاً مؤثراً، فلا بد أن يأخذ بحظ وافر من المران والممارسة، والتأهل والإعداد والتحضير، والعلم والثقافة المتنوعة.

ولقد كان لعدد من خطباء العرب البارزين في الجاهلية دور كبير جلي في إخماد الفتنة بين القبائل أو إشعالها، وكان لهم أثر واضح في المناسبات الاجتماعية من حض على القتال، وإدراك الثأر، أو الدعوة إلى رفيع الشيم، ومعالي الأخلاق، أو في خطب الوفود أو النكاح، أو المفاخرات والمبارزات الكلامية، مما جعل القبيلة تعتز بخطيبها وتفاخر به القبائل الأخرى تفاخرها بشعرائها أو أشد من ذلك.

وهكذا كانت الخطابة في العصور الإسلامية المتعاقبة، وقد جعل الإسلام أهمية بالغة، ومكانة عظيمة لخطبة الجمعة لما تختص به من خصائص، وتتميز به من مزايا تحتم على الخطيب أن يكون على مستوى هذه المكانة، وتلك الأهمية ليؤتي جهده أكله، ويثمر الثمرات المرجوة.

خصائص خطبة الجمعة

إن خطبة الجمعة تتميز بمزايا، وتختص بخصائص لا تتوفر في أي نوع من أنواع الخطب الأخرى،

١- حيث إنها تمثل شعيرة من شعائر الإسلام، وتتم في جو مهيب خاشع تتهيأ فيه النفوس للتلقي والاستماع، ويشعر المسلم فيه أنه في صلاة وطاعة لله جل وعلا، كما أنها تتميز بوجوب الإنصات إلى الخطيب. وعدم التشاغل عنه، مما يفردها عن سائر الخطب، والمحاضرات، والندوات التي لا ينطبق عليها الحكم الشرعي نفسه.

٢- وتتميز خطبة الجمعة أيضا بالاستمرارية والتكرار في كل أسبوع، ففي العام الواحد يستمع المصلي لاثنتين وخمسين خطبة، وهذا يمثل مساقا دراسيا متكاملا، فإذا أحسن إعداده كانت آثاره جليلة، وثمراته عظيمة.

٣- وتتميز خطبة الجمعة إلى جانب ذلك بتنوع الحاضرين إليها، وباختلاف مستوياتهم وطبقاتهم العلمية، والاجتماعية، فإن الخطيب في خطبة الجمعة يخاطب جميع فئات المجتمع، ولا يختص الحضور على فئة دون أخرى، وهذا التنوع يعني تذليل العقبات التي تحول دون تنفيذ طرائق الإصلاح الاجتماعية، فإن العامل وصاحب العمل، والطالب والمعلم، والموظف والرئيس كلهم يخاطبون في آن واحد، ويوضعون أمام مسؤولياتهم، فلا تخاطب فئة منهم في غياب الفئة الأخرى، ولا تحمل المسئولية على فئة منهم دون الأخرى"[١].

(١) خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة لعبد الغني أحمد جبر مزهر (٥-٧)

هدي النبي في خطبة الجمعة

من المؤسف أن الخطبة في أكثر البلاد الإسلاميّة، صارت رسوماً تقليديّة، ووظيفة رسميّة، تؤدّى بعبارة، تحفظ من ورقة، فتلقى على المنبر، ككنس المسجد، يقوم بها أيُّ رجلٍ!! وفي نظر طلاّبها، حرفة، ينال بها الرّزق!! ونسوا ـ أو تناسوا ـ أن مقامها هو مقام النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومقام خلفائه ونوّابهم، وقد أُهين هذا المقام في هذا العصر، فصار يعهد به كثيراً إلى أجهل النّاس، وأقلّهم احتراماً في نفوس العوام فضلاً عن طلبة العلم وأهله.

فهؤلاء الخطباء، شرّ فتنة، وذنوبهم لا تحصى، إلا إذا أمكن إحصاء تأثير خطبهم الضّارّ في الأُمّة ! ! وأنّى يحصى، وهو من الأمور المعنويّة التي لا تعرف بالعدّ والحساب ! !

ومن سيّئات هؤلاء الخطباء، وآفاتهم في الأُمّة: أنْ كانوا علّةً من عِلَلِ فقرها وضعفها، في دينها ودنياها، وضياع ممالكها من أيديها، فهم أضرَ على المسلمين من الأعداء المحاربين، ومثلهم كمثل الطبيب الجاهل، يقتل العليل.

ومن آفاتهم أنهم أبعد الناس عن هدي النبي في خطبة الجمعة .

وإليك " فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَةِ الجمعة"

يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله- في زاد المعاد: **("كَانَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ"**

وَيَقُولُ: **"بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"**.

وَيَقُولُ: **"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"**.

ثُمَّ يَقُولُ: **"أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ"** رَوَاهُ مسلم.

وَفِي لَفْظٍ: **كَانَتْ خُطْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ فَذَكَرَهُ**.

وَفِي لَفْظٍ: **يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: "مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ"** .

وَفِي لَفْظٍ لِلنَّسَائِيِّ: **"وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ"**.

وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ التَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ وَالتَّشَهُّدِ: أَمَّا بَعْدُ .

وَكَانَ يُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيَقْصِدُ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعَ، وَكَانَ يَقُولُ: **"إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ"**.

وَكَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبَتِهِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي خُطْبَتِهِ إِذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ، كَمَا أَمَرَ الدَّاخِلَ وَهُوَ يَخْطُبُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ. وَنَهَى الْمُتَخَطِّيَ رِقَابَ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ.

وَكَانَ يَقْطَعُ خُطْبَتَهُ لِلْحَاجَةِ تَعْرِضُ، أَوِ السُّؤَالِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَيُجِيبُهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى خُطْبَتِهِ، فَيُتِمُّهَا.

وَكَانَ رُبَّمَا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ لِلْحَاجَةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُتِمُّهَا كَمَا "نَزَلَ لِأَخْذِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَأَخَذَهُمَا ثُمَّ رَقِيَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ، فَأَتَمَّ خُطْبَتَهُ".

وَكَانَ يَدْعُو الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ: **تَعَالَ يَا فُلَانُ، اجْلِسْ يَا فُلَانُ، صَلِّ يَا فُلَانُ.**

وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِمُقْتَضَى الْحَالِ فِي خُطْبَتِهِ، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ ذَا فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَضَّهُمْ عَلَيْهَا. كَانَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَدُعَائِهِ.

"وَكَانَ يَسْتَسْقِي بِهِمْ إِذَا قَحَطَ الْمَطَرُ فِي خُطْبَتِهِ".

وَكَانَ يُمْهِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ شَاوِيشٍ يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا لُبْسِ طَيْلَسَانٍ وَلَا طُرْحَةٍ وَلَا سَوَادٍ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَدْعُ مُسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بلال فِي الْأَذَانِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهُ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ، لَا بِإِيرَادِ خَبَرٍ وَلَا غَيْرِهِ.

وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ سَيْفًا وَلَا غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا "كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمِنْبَرَ"

وَكَانَ فِي الْحَرْبِ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ، وَفِي الْجُمُعَةِ يَعْتَمِدُ عَلَى عَصًا.

وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى سَيْفٍ، وَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى السَّيْفِ دَائِمًا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الدِّينَ قَامَ بِالسَّيْفِ، فَمِنْ فَرْطِ جَهْلِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْفَظُ عَنْهُ بَعْدُ اتِّخَاذُ الْمِنْبَرِ أَنَّهُ كَانَ يَرْقَاهُ بِسَيْفٍ وَلَا قَوْسٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَلَا قَبْلَ اتِّخَاذِهِ أَنَّهُ أَخَذَ بِيَدِهِ سَيْفًا الْبَتَّةَ وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى عَصًا أَوْ قَوْسٍ.

وَكَانَ مِنْبَرُهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ قَبْلَ اتِّخَاذِهِ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا تَحَوَّلَ إِلَى الْمِنْبَرِ، حَنَّ الْجِذْعُ حَنِينًا سَمِعَهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ،

فَنَزَلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَمَّهُ، قَالَ أنس: حَنَّ لَمَّا فَقَدَ مَا كَانَ يَسْمَعُ مِنَ الْوَحْيِ، وَفَقْدَهُ الْتِصَاقَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمْ يُوضَعِ الْمِنْبَرُ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ، وَإِنَّمَا وُضِعَ فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ قَرِيبًا مِنَ الْحَائِطِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَائِطِ قَدْرُ مَمَرِّ الشَّاةِ.

وَكَانَ إِذَا جَلَسَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ الْجُمُعَةِ، أَوْ خَطَبَ قَائِمًا فِي الْجُمُعَةِ، اسْتَدَارَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ بِوُجُوهِهِمْ، وَكَانَ وَجْهُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَهُمْ فِي وَقْتِ الْخُطْبَةِ.

وَكَانَ يَقُومُ فَيَخْطُبُ، ثُمَّ يَجْلِسُ جِلْسَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ الثَّانِيَةَ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا أَخَذَ بلال فِي الْإِقَامَةِ. وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالدُّنُوِّ مِنْهُ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْإِنْصَاتِ وَيُخْبِرُهُمْ **"أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لِصَاحِبِهِ: أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَا"**.

وَيَقُولُ: **"مَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ"**.

وَكَانَ يَقُولُ: **"مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ: أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ"**. رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ)[٢].

"وكَانَتْ خُطْبَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا هِيَ تَقْرِيرٌ لِأُصُولِ الْإِيمَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ، وَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَمَا أَعَدَّ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، فَيَمْلَأُ الْقُلُوبَ مِنْ خُطْبَتِهِ إِيمَانًا وَتَوْحِيدًا، وَمَعْرِفَةً بِاللَّهِ وَأَيَّامِهِ، لَا كَخُطَبِ غَيْرِهِ الَّتِي إِنَّمَا تُفِيدُ أُمُورًا مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَهِيَ النَّوْحُ عَلَى الْحَيَاةِ، وَالتَّخْوِيفُ بِالْمَوْتِ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَلَا تَوْحِيدًا لَهُ، وَلَا مَعْرِفَةً خَاصَّةً بِهِ، وَلَا تَذْكِيرًا بِأَيَّامِهِ، وَلَا بَعْثًا لِلنُّفُوسِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَالشَّوْقِ إِلَى

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية (١/٤١١-٤١٦)

لِقَائِهِ، فَيَخْرُجُ السَّامِعُونَ وَلَمْ يَسْتَفِيدُوا فَائِدَةً غَيْرَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، وَتُقَسَّمُ أَمْوَالُهُمْ، وَيُبْلِي التُّرَابُ أَجْسَامَهُمْ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ إِيمَانٍ حَصَلَ بِهَذَا؟ ! وَأَيُّ تَوْحِيدٍ وَمَعْرِفَةٍ وَعِلْمٍ نَافِعٍ حَصَلَ بِهِ؟ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ خُطَبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُطَبَ أَصْحَابِهِ، وَجَدَهَا كَفِيلَةً بِبَيَانِ الْهُدَى وَالتَّوْحِيدِ، وَذِكْرِ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأُصُولِ الْإِيمَانِ الْكُلِّيَّةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَذِكْرِ آلَائِهِ تَعَالَى الَّتِي تُحَبِّبُهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَأَيَّامِهِ الَّتِي تُخَوِّفُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ، وَالْأَمْرِ بِذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ الَّذِي يُحَبِّبُهُمْ إِلَيْهِ، فَيَذْكُرُونَ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ مَا يُحَبِّبُهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَيَأْمُرُونَ مِنْ طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ، وَذِكْرِهِ مَا يُحَبِّبُهُمْ إِلَيْهِ، فَيَنْصَرِفُ السَّامِعُونَ وَقَدْ أَحَبُّوهُ وَأَحَبَّهُمْ، ثُمَّ طَالَ الْعَهْدُ وَخَفِيَ نُورُ النُّبُوَّةِ، وَصَارَتِ الشَّرَائِعُ وَالْأَوَامِرُ رُسُومًا تُقَامُ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ حَقَائِقِهَا وَمَقَاصِدِهَا، فَأَعْطَوْهَا صُوَرَهَا وَزَيَّنُوهَا بِمَا زَيَّنُوهَا بِهِ، فَجَعَلُوا الرُّسُومَ وَالْأَوْضَاعَ سُنَنًا لَا يَنْبَغِي الْإِخْلَالُ بِهَا وَأَخَلُّوا بِالْمَقَاصِدِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي الْإِخْلَالُ بِهَا، فَرَصَّعُوا الْخُطَبَ بِالتَّسْجِيعِ وَالْفِقَرِ، وَعِلْمِ الْبَدِيعِ، فَنَقَصَ بَلْ عَدِمَ حَظُّ الْقُلُوبِ مِنْهَا، وَفَاتَ الْمَقْصُودُ بِهَا"[٣].

نصائح للخطيب

ينبغي أن يكون الخطيب:

أولاً: عالماً بالعقائد الصحيحة، حتى لا يزيغ، ولا يضل الناس بسوء عقيدته.

(٣) زاد المعاد (١/٤٠٩-٤١٠)

ثانياً: عالماً بما تصح به الصّلاة، مُلمّاً بأحكام الفقه، ليتمكّن من إجابة مَنْ يسأله عن بيّنةٍ، ويرشده بنور الشريعة، إلى الصراط المستقيم، ولا يخبط خبط عشواء في أمور الدّين، كما يفعل كثير من خطباء هذا الزّمان.

ثالثاً: مُلمّاً باللغة العربية، خصوصاً علم الإنشاء، ليقتدر على تأليف كلامٍ بليغٍ، ينير به أفئدة السّامعين، وأن يكون نبيهاً، لا تغرب عنه شاردةٌ ولا واردةٌ، لَسِناً فصيحاً، معبراً عما يخطر بباله من المعاني والأسرار.

رابعاً: مراعياً أحوال النّاس، بتحذيرهم مما هم فيه، من البدع والمخالفات .

خامساً: صالحاً ورعاً مهيباً قنوعاً، غير مجاهر بمعصية، ولا مرتكباً مخالفة، عاملاً بما يقول، حتى تهابه القلوب، وتعظّمه النّفوس، وحتى يكون لكلامه تأثير فيها، ويجد له سميعاً، يعي ما يُقال، ويعمل بما يسمع، لأن ذلك أدعى إلى قبول موعظته، والعمل بها .

قال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجل المعلِّم غيره هلا لنفسك كان ذا التّعليمُ
تصف الدّواء لذي السقام وذي العنا كيما يصح به وأنت سقيمُ
ونراك تصلح بالرّشاد عقولَنا أبداً وأنت من الرشاد عديمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
وهناك يقبل ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليمُ
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيمُ[٤]

(٤) القول المبين في أخطاء المصلين لأبي عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان (٣٦٦-٣٦٧)

وبعد: فهذه مجموعة من الخطب التي ألقيتها من فوق المنبر على فترات متباعدة من الزمن، وقد راجعت مادتها العلمية، ووثقت النقولات، وزدت زيادات، فزادت عن الحد المطلوب، وخرجت عن القدر المسموح به، وعذري في ذلك أني أردت أن تكون موضوعات متكاملة، وللخطيب أن ينتقي منها ما يشاء، ويدع ما يشاء حسب ما يتراءى له.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها مكتوبة كما نفع بها مسموعة والله من وراء القصد.

ولا أنسى في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكرِ والتقديرِ لكل من ساعدني في صف هذا الكتاب وشارك في طباعته، وأسأل اللهُ أن يكافئهم بما هو أهله وأن يجزل لهم المثوبة في الدنيا والآخرة. وأسأله سبحانه وتعالى أن يجنبنا الزلل ويرشدنا إلى الصواب ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وفي الختام أقول :

وإنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلا فَجَلَّ مَنْ لَا فيهِ عَيبٌ وَعَلا

والحمدُ للـه علـى مَا أوْلَى نِعمَ مَا أوْلَى وَنِعمَ المَولَى (٥)

كتبهُ/ الفقيرُ إلى عفو ربه القدير

محمد مختار محمود

(٥) البيتان من مُلْحة الإعراب للحريري (٨٧/١) ط دار السلام

حلاوة الإيمان ١

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفُره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعْمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران :١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب:٧٠-٧١] (٦).

---

(٦) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلمها لأصحابه كما يعلمهم التشهد للصلاة. وقد أخرجها أبو داود في سننه برقم (٢١١٨)، والنسائى في سننه برقم (١٤٠٤) من طريق أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، به، وهذا إسناد رجاله ثقات، غير أن أبا عبيدة لم يسمع من ابن مسعود، فهو إسناد ضعيف لانقطاعه. وتابع أبو الأحوص أبا عبيدة كما في مسند أحمد برقم (٣٧٢١) بسند صحيح على شرط مسلم؛ وللشيخ الألباني رسالة في هذه الخطبة باسم: "خطبة الحاجة التي كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمها أصحابه"، وهي مطبوعة متداولة، وانظر "مرويات أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه" تأليف/ عبد الله بن عبد الرحيم بن حسين البخاري

أما بعد: فإن خيرَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله: حياكم الله جميعا أيها الإخوة الفضلاء في هذا اليوم الكريم المبارك الأَغَرّ والله أسأله كما جمعنا في هذا اليوم على طاعته أن يجمعنا في الدنيا دائما على محبته وطاعته وأن يجمعنا في الآخرة مع المصطفي في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

روى البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه من حديث أنس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "** (٧)

أحبتي في الله: إن الإيمان بالله عز وجل ليس أمراً هامشياً في هذه الحياة بل هو قضية القضايا لا يجوز أن نغفله أو نستخِفّ به أو ندعه في زاوية النسيان.

فالإيمان هو حياه العبد فلا حياة بلا إيمان .

قال شاعر الإسلام محمد إقبال:

إذا الإيمانُ ضاعَ فلا أمانُ ولا حياةَ لمن لم يحيى دينا

ومن رضي الحياةَ بلا إيمان فقد جعل الفناءَ لها قرينا

---

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ حديث رقم (١٦) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (٤٣)

ففرد بلا إيمان ريشة في مهب الريح لا تستقر علي حال ولا تسكن إلي قرار تميلها الريح يمينا ويسارا كما تشاء .

فرد بلا إيمان، إنسان لا قيمة له، إنسان قلق متبرم، حائر لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سر وجوده لا يدري من ألبسه ثوب الحياة ولماذا ألبسه إياه ؟ ولماذا ينزعه عنه بعد حين ؟

وباختصار فرد بلا إيمان حيوان مفترس بهيمة لا تعقل قال عنهم الله عز وجل :**﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف:١٧٩]

وقال عنهم الله: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾** [الفرقان:٤٤]

وهذا الإيمان ليس مجرد كلمة يقولها العبد ويمضي، بل هي كلمة ذات تكليفات ومهمات عظيمة.

قال أهل العلم: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان (يعني بالقلب) وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

وليس الإيمان مجرد دخان يطير في الهواء، بل نعني به:

أيها الإخوة المؤمنون: نعني بالإيمان أن يعتقد المؤمن من سُويداء قلبه أن الأرزاق بيد الله وأن ما بسطه الله علي العبد لا يمكن لأحد أن يمنعه وأن ما أمسكه عليه لم يكن لأحد أن يعطيه وأن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها .

وعلي المؤمن أن يضع نصب عينيه قول الحق **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾** [الإسراء:٣٠]

وأن يُردد صباح مساء قوله جل وعلا ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾ [الملك:٢١]

فبهذا الاعتقاد والشعور يتحرر المؤمن من الحرص الزائد على الدنيا والإلحاح بالطلب، ويتحرر من الشح ويتحلى بمعاني الكرم والإيثار والعطاء، بل يرى السعادة في القناعة.

ورحم الله من قال:

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنىً يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها
هي القناعة فالزمها تكن ملكاً لو لم تكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير الطيب والكفن

وأعني بالإيمان أيها الأخوة المؤمنون: أن يعتقد المؤمن من أعماق أحاسيسه ومشاعره أن الله سبحانه معه يسمعه ويرآه، ويعلم سره ونجواه ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [المجادلة:٧]

ويردد صباح مساء قول الله ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [الأنعام:٥٩]

ويتمثل قول الشاعر المسلم:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ خلوتَ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ اللهَ يغفُلُ ساعة ولا أنَّ ما تُخفيه عنه يغيبُ

ولكن السؤال الآن كيف يجد المؤمن حلاوة الإيمان ؟

وقد كفانا نبينُا الكريمُ الجوابَ عن هذا السؤال ووضع لنا المنهج العملي الذي يوصل المؤمن لكي يستشعر المؤمن حلاوة الإيمان ولذة الإسلام ، ما هو هذا المنهج، وما مراحله ؟

أولا: المحبة الخالصة لله ورسوله.

ثانياً: الأخوة الصادقة.

ثالثاً: كراهية مبادئ أهل الكفر ونبذ أهل الضلال.

أيها الأحبة: "وجد حلاوة الإيمان"

فهذه الخصال الثلاث من نفذها وقام بها وجد حلاوة الإيمان .

قال النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم (١٣/٢): هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام.

قال ابن رجب في شرحه لصحيح البخاري (٥٠/١-٥١): "هذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام

والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي.

من هنا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"**، لأنه لو كمل إيمانه لوجد حلاوة الإيمان فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي.

سُئل وهيب بن الورد: هل يجد طعمَ الإيمانِ من يعصي الله؟ قال: لا، ولا من هَمَّ بالمعصية.

وقال ذو النون المصري: كما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب".

قال العلماء رحمهم الله: "معنى حلاوة الإيمان": استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وإيثار ذلك على عرض الدنيا .

وقال أبو محمد بن أبي جمرة - رحمه الله -: " إِنَّمَا عَبَّرَ بِالْحَلَاوَةِ لِأَنَّ اللَّهَ شَبَّهَ الْإِيمَانَ بِالشَّجَرَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مَثَلًا كلمة طيبَة كشجرة طيبَة فَالْكَلِمَةُ هِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَالشَّجَرَةُ أَصْلُ الْإِيمَانِ وَأَغْصَانُهَا اتِّبَاعُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ

النَّهْيِ وَوَرَقُهَا مَا يَهْتَمُّ بِهِ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْخَيْرِ وَثَمَرُهَا عَمَلُ الطَّاعَاتِ وَحَلَاوَةُ الثَّمَرِ جَنْيُ الثَّمَرَةِ وَغَايَةُ كَمَالِهِ تَنَاهِي نُضْجِ الثَّمَرَةِ وَبِهِ تَظْهَرُ حَلَاوَتُهَا"[٨]

فتعالوا بنا أيها الأحبة حتى نجد حلاوة الإيمان

الخصلة الأولى: "أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا"

أن تكون محبة الله عز وجل فوق كل المحاب ، ولما لا فهو المنعم علينا والمانح لنا ، فما من نعمة نتنعم فيها إلا من فضله وجوده وكرمه قال تعالى **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** [النحل :١٨]

فنعم الله تغمرنا من مفرق رأسنا إلى أخمص القدمين .

انظر أيها الإنسان إلى نفسك !!

كنت ضعيفا في بطن أمك، من الذي غذاك؟

كنت فقيراً من الذي أغناك؟

كنت جاهلاً، من الذي علمك ؟

كنت ضآلاً من الذي هداك ؟

إنه اللهُ جل في عُلاه

بل مَنَّ عليك بأفضل نعمة، وأجل نعمة وأعظم نعمة ألا وهي الإسلام.

أيها المسلم الكريم: غيرك الآن من البشر مليارات يكفرون بالواحد الأحد، **﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾** [يوسف :١٠٣]

---

(٨) فتح الباري (٦٠/١)

ومما زادني فخراً وتيها وكدت بأَخْمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمدَ لي نبيا

والله جل وعلا يستأهل المحبة لأنه سخر الكون كله لمصلحة الإنسان

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٣]

ويستأهل المحبة لإجابته المضطر إذا دعاه وكشفه الضر والسوء عنه **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [النمل :٦٢-٦٤]

قال الحافظ ابن رجب: ومحبة الله على درجتين:

إحداهما: فرض، وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة والانتهاء عن زواجره المحرمة والصبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القدر لابد منه في محبة الله، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله، كما قال بعض العارفين: من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده فهو كاذب، فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات أو أخل بشيء من فعل الواجبات فلتقصره في محبة الله حيث قدم محبة نفسه وهواه على

محبة الله، فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه. وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته وبذلك ينقص الإيمان كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "** الحديث.

والدرجة الثانية من المحبة - وهي فضل مستحب -: أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات وتجنب الوقوع في الشبهات والمكروهات، والرضا بالأقضية المؤلمات، كما قال عامر بن عبد قيس: أحببت الله حبا هَوَّن علي كل مصيبة ورضاني بكل بلية، فما أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت، ولا على ما أمسيت.

وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر، ولما مات ولده الصالح قال: إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله.

محبة الرسول:

لماذا نحب الرسول؟، ولماذا يستأهل هذه المحبة؟، يستأهل هذه المحبة لكونه عليه الصلاة والسلام الشخصية الكاملة المعصومة عن الخطأ المنزهة عن الآثام والعصيان.

يستأهل هذه المحبة لكون طاعته طاعة لله

قال تعالى ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ.....**﴾ [آل عمران:٣٢]

وقال تعالى ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٢]

يستأهل المحبة لكونه الأسوة الحسنة والقدوة لمن يتطلع إلى المعالي ويستشرف الجلال والكمال.

قال تعالى **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** [الأحزاب :٢١]

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه السراج المنير، والرحمة المهداة للبشرية والنعمة المسداة ، وصدق الله إذ يقول **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾** [الأحزاب :٤٥-٤٦]

وقال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧]

وقال تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم:١٠٤]

يستأهل المحبة ؛ لأن طاعته واتباعه محبة لله قال تعالى **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران:٣١]

وأما محبة الرسول: فتنشأ عن معرفته ومعرفة كماله وأوصافه وعظم ما جاء به، وينشأ ذلك في معرفة مرسله وعظمته - كما سبق -، فإن محبة الله لا تتم إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بمتابعة رسوله، كما قال تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾** [آل عمران:٣١]

ومحبة الرسول على درجتين - أيضا:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضا بذلك، وأن لا يجد

في نفسه حرجا مما جاء به ويسلم له تسليما، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته ولا يطلب شيئا من الخير إلا مما جاء به.

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته وآدابه وأخلاقه والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وإخوانه وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه واحتماله وتواضعه، وفي أخلاقه الباطنة من كمال خشيته لله ومحبته له وشوقه إلى لقائه ورضاه بقضائه وتعلق قلبه به دائما وصدق الالتجاء إليه والتوكل والاعتماد عليه، وقطع تعلق القلب بالأسباب كلها ودوام لهج القلب واللسان بذكره والأنس به والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه وتلاوة كتابه بالتدبر والتفكر.

وفي الجملة: فكان خلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكمل الخلق من حقق متابعته وتصديقه قولا وعملا وحالا وهم الصديقون من أمته.

وانظروا معي أيها الأخيار إلى هذه النماذج من الحب والتفاني الرائع:

لو قلبنا صفحات التاريخ ونقبنا عن أخبار الرعيل الأول من صحابة الرسول ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين لرأينا نماذج بشرية رائعة في الحب والتفاني، ولرأينا كيف استشعروا الحب فذاقوا حلاوة الإيمان .

أيها المسلمون: إن لذة وحلاوة الإيمان لذة ليس لها مثيل في الدنيا البشر يعبر عنها أحد السلف حين قال: "إن في عيش لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه ولو بالسيوف "

نعم إنها لذة الإيمان والأنس بالله .

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صح منك الود فالكل هينُ ... وكل الذي فوق التراب تراب

وهذا خُبيب بن عدي - رضي الله عنه - أسره المشركون واجتمعوا لقتله بمكان يسمى التنعيم فقَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، واقتلهم بددا ولا تبقي منهم أحدا.

ثم أنشد:

ولست أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الحَارِثِ فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا[٩].

ثم قال أبو سفيان له وكان لا يزال كافرا: أتحب أن تكون بين أهلك ومالك، ومحمد مكانك.

قال خبيب: لا والله ، لا أحب أن أكون بين أهلي ومالي ومحمد في مكانه الذي هو فيه تصبيه شوكة تؤذيه. إنه الحب الحقيقي لرسول الله ! !

وعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَاكَ.

---

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٤٥)

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] (١٠).

وقال البغوي في تفسيره: نَزَلَتْ فِي ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ،

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ"؟**

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي مَرَضٌ وَلَا وَجَعٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَلْقَاكَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لَا أَرَاكَ لِأَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ كُنْتُ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ لَا أَرَاكَ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (١١)

أيها الناس: إن المحب لله ولرسوله محبة قلبية خالصة، عليه أن يستجيب لندائهما، ويمتثل أمرهما، ويقف عند حدودهما وإلا فهو كاذب في دعواه، ناقضا عرى الإيمان .

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديعُ

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيعُ

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين .

---

(١٠) رواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٣٠٨) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١٢٥/٨) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٧): "رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة".

(١١) تفسير البغوي (٢٤٧/٢)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالميين، له الحمد الحسن والثناء الجميل، يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً خاتم الأنبياء المرسلين.

أما بعد:

أيها الناس: إن المحبة لا تكون صادقة إلا باتباع رسول الله، قال جل وعلا ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران :٣١-٣٢]

أيها المسلم الكريم: هذه الآية نفذها الجيل الرباني الأول فاتبعوا النبي وساروا على دربه ما تقاعسوا، وما انتكسوا، بل كانوا قرآنا يمشون على الأرض حياتهم لله وأفعالهم ابتغاء وجه الله، وموافقة لهدي رسول الله .

فهذا أبو بكر صديق الأمة الأكبر الصامد يوم المحنة الثابت يوم الشدة ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقف المعارضون يشككون ويعارضون في إمرة أسامة بن زيد للجيش الموجه إلى الروم

وقالوا: يا أبا بكر نولي من هو أكبر منه سنا؟

قال أبو بكر قولته الجريئة: "والذي نفسي بيده لو أن السباع تخطفني من حول المدينة لأنفذت جيش أسامة !!

إنه أمر رسول الله ، لسان حال أبي بكر كيف أطيعه حيا وأعصيه ميتا. والله لو لم يبق في الدنيا غيري لأنفذته ما كنت أحل عقدة عقدها رسول الله بيده"

وهذا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- روى عن النبي حديثا وهو في الصحيحين **"مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ"**

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: "مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي"(١٢)

إنه الاتباع، إنه السمع والطاعة، فهيا سيروا على درب هؤلاء وقولوا **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** يأتيكم التخفيف من ربكم **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾**

الدعاء

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا الإيمان والاستقامة واختم لنا بخاتمة السعادة وأدخلنا الجنة ولا تحرمنا الزيادة.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين.

---

(١٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٣٨) وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٦٢٧).

اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً، وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا شقياً ولا محروماً، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت؛ أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا مبتلى إلا عافيته، ولا كرباً إلا نفَّسته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فيها لك رضاً ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على قضائها ويسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

حلاوة الإيمان ٢

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفُره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعْمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خيرَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

أحبتي في الله: حياكم الله جميعا أيها الإخوة الفضلاء في هذا اليوم الكريم المبارك الأغر والله أسأله كما جمعنا في هذا اليوم على طاعته أن يجمعنا في الدنيا دائما على محبته وطاعته وأن يجمعنا في الآخرة مع المصطفي في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أيها الأحبة: هذا لقاء يتجدد مع شرحنا لحديث حلاوة الإيمان

روى البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه من حديث أنس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "**

أيها الأحبة: ما هو المنهج العملي لكي يستشعر المؤمن حلاوة الإيمان ؟

أولا: المحبة الخالصة لله ورسوله

ثانيا: الأخوة الصادقة

ثالثا: كراهية مبادئ الكفر ونبذ أهل الضلال

ونحن اليوم مع النقطة الثانية: ألا وهي الأخوة الصادقة

أيها المؤمنون: الأخوة في الإسلام لا تكون متماسكة ولا تكون خالصة ولا تكون متعاونة على الخير إلا أن تكون لله وفي مرضاة الله.

والأخوة الإيمانية ليست مجرد كلمة تقال بل هي منهج له وتكليفات وشروط.

قال تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الفتح:٢٩]

وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]

والأخوة لها حقوق في الإسلام منها:

أولا: أن تسلم على أخيك إذا لقيته قبل أن تكلمه فتقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنها تحية الإسلام ألا وهي السلام ومن الواجب أن يرد عليك بمثلها أو أحسن منها

قال تعالى: **﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾** [النساء:٨٦]

وفي الصحيحين من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ"**(١٣)

ثانيا: أن تشمته إذا عطس بأن تقول له إذا حمد الله، يرحمك الله، وترد على العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم .

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ "**(١٤)

ثالثا: ومنها أن تجيب دعوته وأن تعوده إذا مرض

ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ**

---

(١٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٢٣٣،٦٢٣٢،٦٢٣١، ٦٢٣٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٦٠)

(١٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٢٢٤)

السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ"(١٥)

واسمع إلى هذا الحديث الرقراق في فضل عيادة المريض ، والله لو لم يرد في فضل عيادة المريض إلا هذا الحديث لكفى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي "**(١٦)

رابعا: ومن حقه عليك أن تنصره وأن لا تخذله في أي موضع

ففي الصحيحين من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"**(١٧)

---

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٤٠) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٢٦)

(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٦٩)

(١٧) البخاري في صحيحه رقم (٢٤٤٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٨٠)

ومن واجبه عليك أن تَرُدَّ عن عرضه وأن تدافع عنه ولك الجزاء العظيم من عند رب العالميين بأن يرد عن وجهك النار يوم القيامة

روى الترمذي وأحمد بسند حسن من طريق أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ"**(١٨)

خامسا: ومن حقه عليك أن تتواضع له وأن لا تتكبر عليه

قال تعالى: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [لقمان:١٨]

وفي صحيح مسلم من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"**

سادسا: ومن حقه عليك أن لا تغتابه ولا تعيبه ولا تسخر منه

قال تعالى **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ**

---

(١٨) حسن لغيره: أخرجه الترمذى في سننه برقم (١٩٣١) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ المُبَارَكِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ النَّهْشَلِيِّ، عَنْ مَرْزُوقٍ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيِّ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، به.

قلت: إسناد رجاله ثقات سوى مرزوق أبو بكر التيمي لم يذكروا في الرواة عنه سوى أبي بكر النَّهْشلي، وقد فرَّق المِزِّي بينه وبين مَرْزوق أبي بُكير التيمي الذي ذكره تمييزاً، وقد روى عنه جمع، ووثَّقه ابن معين، وخلط بينهما ابنُ حبان، ولم يجزم بحالهما الحافظ في "التهذيب". وقال الترمذي : حديث حسن

قلت : وتابع مرزوقَ التيمي كل من: شهرُ بن حوشب كما جاء في مسند أحمد رقم (٢٧٥٣٦) عَوْن بن عبد الله، كما عند أبي نعيم في الحلية (٢٥٧/٧- ٢٥٨)

الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢]

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟"

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ"

قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟

قَالَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ"(١٩)

أخي: يا من أطلقت لسانك في عرض إخوانك، أما آن لك أن تمسك هذا اللسان !!

فكل كلمة مسجلة عليك وسوف تحاسب عليها يوم القيامة

قال تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾** [الإسراء:٣٦]

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»**

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،

فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"(٢٠)

---

(١٩) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨٩)

(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨١)

قال النووي - رحمه الله - مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ فَالنَّاسُ يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا وَلَيْسَ هُوَ حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَزُولُ وَيَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ وَرُبَّمَا يَنْقَطِعُ بِيَسَارٍ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ هَذَا الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ فَهُوَ الْهَالِكُ الْهَلَاكَ التَّامَّ وَالْمَعْدُومُ الْإِعْدَامَ الْمُقَطَّعَ فَتُؤْخَذُ حَسَنَاتُهُ لِغُرَمَائِهِ فَإِذَا فَرَغَتْ حَسَنَاتُهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَوُضِعَ عَلَيْهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَتَمَّتْ خَسَارَتُهُ وَهَلَاكُهُ وَإِفْلَاسُهُ"

"وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله"

إنه الحب في الله، ما أعظم الحب في الله !

المتحابون في الله في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله

انظر أخي إلى هذا المشهد العظيم، الشمس فوق الرؤوس، والرؤوس تغلي من حرارة الشمس سلم يا رب سلم ...

وفي هذه اللحظة يكون المتحابون في الله في ظل عرش الرحمن، الله أكبر !

جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: فذكر من السبعة: وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ"**(٢١)

وعنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: "أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي"**(٢٢)

(٢١) أخرجه البخاري (٦٨٠٦، ١٤٢٣، ٦٦٠) وأخرجه مسلم (١٠٣١)

(٢٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦)

وعن معاذ بن جبل قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ"**(٢٣)

روى مالك في الموطأ وأحمد في مسنده بسند صحيح صححه ابن عبد البر، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ مَسْجِدَ أَهْلِ دِمَشْقَ، فَإِذَا حَلْقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَّاقُ الثَّنَايَا كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى، فَتًى شَابٌّ،

قَالَ: قُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ

قَالَ: فَجِئْتُ مِنَ الْعَشِيِّ فَلَمْ يَحْضُرُوا.

قَالَ: فَغَدَوْتُ مِنَ الْغَدِ.

قَالَ: فَلَمْ يَجِيئُوا فَرُحْتُ فَإِذَا أَنَا بِالشَّابِّ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ، فَرَكَعْتُ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ.

قَالَ: فَمَدَّنِي إِلَيْهِ.

قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟

قُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **" الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ "**.

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ: **"حَقَّتْ**

---

(٢٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٠) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ "(٢٤)

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **"أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟**

قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ،

قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،

قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ "(٢٥)

أيها الإخوة المؤمنون: عندما تكون الأخوة في الله فإنها تصنع الخوارق والأعاجيب بل تكون مضرب الأمثال وحديث الركبان.

وإليكم نماذج خالدة من سيرة السلف في تفاعل أخوة الإيمان

- كان على مسروق دَيْنٌ كبير وكان على أخيه خيثمة دَيْنٌ أيضا فذهب "مسروق" وقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ! !

وذهب خيثمة وقضى دين مسروق وهو لا يعلم ! !

- وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاءه بهدية .

فقال ابن شبرمة: ما هذا؟

قال أخوه: لما أسديته إلي من المعروف

---

(٢٤) أخرجه مالك في الموطأ (١٦ ط : عبد الباقي) وجعله من حديث أبي إدريس الخولاني وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٠٦٤) وجعله عن أبي مسلم الخولاني ونقل المزي في تهذيب الكمال (٩٢/١٤) عن أبي زرعة الرازي قال: وكلاهما يحدث بهذا الْحَدِيث، عَنْ معاذ،

(٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٦٧)

قال ابن شبرمة: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات، وعده في الموتى ! !

بهذه الأخلاق سما المجتمع المسلم وارتقى

انظر إلى هذا المشهد في عهد عمر بن الخطاب ، أصاب الناس قحط شديد وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان ، فتراكض التجار عليه يطلبون منه أن يبيعهم تلك القافلة

فقال لهم: كم تعطوني ربحا ؟

قالوا: خمسة في المائة

قال: إني وجدت من يدفع أكثر من هذا الربح ؟

فقال عثمان: إني وجدت الله يقول ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة :٢٦١]

أشهدكم يا معشر التجار أن القافلة وما فيها من بر ودقيق وزيت وسمن وثياب قد وهبتها لفقراء المدينة ، وإنها صدقة على المسلمين ! !

نعم هذه هي أخلا قهم ! !

كيف لا؟ وقد عاينوا عصر الرسالة النبوية فارتشفوا من معينها العذب، وارتووا من سلسبيلها الصافي ! !

وكيف لا؟ وهم قد تذوقوا حلاوة الإيمان، وحلاوة الأخوة في الله وحملوا في نفوسهم أحلى معانيها .

وكيف لا؟ وهم قد جعلوا الرسول قدوة لهم وتشريعه الخالد منارا ونبراسا لجميع نواحي حياتهم .

اللهم اجمعنا معهم في جنات نعيم مع النبيين وسائر الصحابة أجمعين .

أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين شرع لنا دينا قويما وهدانا صراطاً مستقيماً وأسبغ علينا نعمة ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير.

اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيد الخير كله وإليك يرجع الأمر كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين وخالق الخلق أجمعين ورازقهم فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله أرسله الله رحمة للعالمين فشرح به الصدور وأنار به العقول وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صما وقلوباً غلفا فجزاه الله عنا أفضل ما جزى به نبينا عن أمته ورضي الله عن أصحابه الطيبين وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الأحبة: المرحلة الثالثة لكي نحقق حلاوة الإيمان: كراهية مبادئ الكفر .

أيها الأخوة المؤمنون: الإيمان بالله عز وجل حين يترسخ في النفوس ويخالط بشاشته القلوب فإن صاحبه ينفر من كل كفر ويكره كل باطل ويبتعد عن كل ضلال .....

وللردة في هذا العصر أساليب وأشكال ؛ فإذا كان المسلم فارغ الإيمان خاوي اليقين، جاهل الشريعة فسرعان ما يتأثر وينجرف في تيارها ويعتنق ضلالها فيصبح واقعا في نواقض الإيمان .

والردة أيها الأحبة ليس معناها كما يتوهم البعض أن يترك المسلم دينه ويعتنق اليهودية أو النصرانية أو البوذية فهذا قَلَّما يحصل لمسلم ولكن للردة في عصرنا اليوم أساليب متنوعة قد تخفى على كثير من المسلمين حقائقها.

ومن مظاهر الردة: الاستهزاء بشئ من القرآن الكريم والسنة المطهرة أو شعيرة من شعائر الإسلام، كمن يستهزئ بأحكام القرآن ويعترض على أن القرآن لم يسوي بين الرجل والمرأة في الإرث، أو الاستهزاء بالسنة لكونها حرمت الذهب على الرجال والحرير.

قال تعالى ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [التوبة :٦٤-٦٦]

- **ومن مظاهر الردة:**

الإيمان بالقرآن وحده وجحود السنة النبوية، وهؤلاء الشرذمة الذين ظهروا في زماننا هذا وسموا أنفسهم بالقرآنيين، ولو صدقوا لسموا أنفسهم بكذبة القرآن .

أقول لهم: أين أنتم من آيات القرآن ؟ ألم يقل الله في القرآن ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر:٧]

أليس في الآية أمر باتباع أوامر الرسول والانتهاء عما نهى عنه ، قال تعالى ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء :٨٠]

فطاعة الرسول طاعة لله .

قال تعالى ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥]

- **ومن مظاهر الردة:**

وصف الله بأوصاف لا تليق به، كالذي يقول: إن الله يحل بالأجسام فقائل هذا كافر مرتد.

أو كالذي يقول: إن لله جسمًا كجسمنا

أو كالذي يقول: إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزيئات

إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تليق بوصف الربوبية ولا تتلاءم مع حقيقة كماله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

فالله سبحانه وتعالى منزه عن الأضداد والأنداد لا يشابهه في أقواله شئ، ولا في أفعاله شئ، ولا في صفاته شئ، سبحانه منوه عن كل نقص وعيب ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام :١٠٣]

﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى :١١]

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾

[الإخلاص:١-٤]

هذه بعض مظاهر الردة ذكرناها ولم نقصد الاستقصاء

عقوبة المرتد:

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"** (٢٦)

وروى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "** (٢٧)

أيها الأحبة: للمرتد ثلاث حالات:

الأولى: أن يرتد سرا فهذا ليس عليه حد في الإسلام لأن الله أمرنا أن نحكم على الناس بالظاهر وليس بالسرائر.

الثانية: أن يرتد ويعلن ردته وله شبهة في ذلك ، فهذا يستتاب ومن أهل العلم من جعل استتابته أبدا .

قال مالك: يستتاب أبدا

وقال النخعي: يستتاب كلما رجع

الثالثة: أن يرتد ويعلن ردته ويكون خطرا على الأمة بأن يكون عونا لأعدائها فهذا تضرب عنقه ، فالقانون الوضعي الآن يصدر الحكم بالإعدام على من آذى أمته وخان دولته .

وقد قال أحد رجال القانون لأحد مشايخنا في الأزهر الشريف - صانه الله من كل مكروه وسوء -: حديث **"من بدل دينه فاقتلوه "** ينافي الحريات الدينية .

---

(٢٦) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأبو داود (٤٣٥١) والترمذي (١٤٥٨) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢٧) أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦)

فأجاب الشيخ فقال: هذا لمن خان أمته وآذى دولته .

فقال رجل القانون: هذا آخر ما توصل إليه القانون الوضعي .

وأنا أقول للمعترضين على حد الردة، لماذا تعترضون على شرع الله، ولا تعترضون على القوانين الوضعية ؟

حكم المرتدة

أيها الأحبة: والْمُرْتَدَّةُ فَهِيَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ كَالْمُرْتَدِّ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ بَدَّل دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**، وَلِمَا رَوَى جَابِرٌ أَنَّ امْرَأَةً يُقَال لَهَا أُمُّ رُومَانَ ارْتَدَّتْ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهَا الإِْسْلاَمُ فَإِنْ تَابَتْ وَإِلاَّ قُتِلَتْ (٢٨).

وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّةَ لاَ تُقْتَل، بَل تُحْبَسُ حَتَّى تَتُوبَ أَوْ تَمُوتَ، لِنَهْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْل الْكَافِرَةِ الَّتِي لاَ تُقَاتِل أَوْ تُحَرِّضُ عَلَى الْقِتَال (٢٩).

الدعاء

اللهم رد الأمة الإسلامية إلى دينها ردا جميلا ، اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم أرنا الحق حقاً، والباطل باطلاً. اللهم وفقنا لاتباع الحق، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في ابتغاء وجهك،

---

(٢٨) أخرجه الدارقطني في سننه (١٢٨/٤)، وقال ابن الملقن في البدر المنير(٥٧٠/٨): إسناده غير ثابت، وضعف إسناده ابن حجر في التلخيص (٤ /١٣٦).

(٢٩) تنظر هذه المسألة في الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩٢/٢٢)

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويُذلُّ فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء!

اللهم انفعنا بما قلنا، اللهم انفعنا بما سمعنا، اللهم واجعله حجَّة لنا، اللَّهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بك اللهم أن نغتال من تحتنا.

وصلِّ اللهم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

اسمع يا تاريخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتب الرحمة للمتقين الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

اسمع يا تاريخ، هذا هو عنوان لقاءنا في هذا اليوم الكريم المبارك وأسأل الله جل وعلا أن يستخرج منا ما يرضيه عنا.

أيها الناس: حديثنا في هذا اليوم مع المربي الأعظم، والنبي الأكرم، مع صاحب الروح الكبيرة التي وسعت آلام الإنسانية وآمالها.

مع الرجل الذي ملأ الأرض نوراً وعدلاً وحقاً.

صلى عليك اللهُ يا علمَ الهدى واستبشرت بقدومك الأيامُ

هتفت لك الأرواحُ من أشْواقها وازينت بحديثك الأقلام

محمد ما أحلى الاسم والمسمى، وهو النبي العظيم في سورة عم ، إذا ذكرته هلت الدموع السواكب، وإذا تذكرته أقبلت الذكريات من كل جانب .

المتعبد في غار حراء، صاحب الشريعة الغراء، والملة السمحاء، والحنيفية البيضاء، صاحب الشفاعة والإسراء، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود .

صاحب الغرة والتحجيل، المؤيد بجبريل، المذكور في التوراة والإنجيل.

خاتم الأنبياء، وإمام الصالحين، وقدوة المفلحين.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه، وسلم على ذلك الوجه ما أبهاه، وبارك على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه.

ماذا أقول في النبي الرسول ؟

هل أقول للبدر حُييت يا قمر السماء؟ ، أم أقول للشمس أهلاً يا كاشفةَ الظلماء؟ ، أم أقول للسحاب سلمت يا حامل الماء؟.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

ما ضل، وما زَل، وما غَل، وما مَلَّ .

ما ضلَّ لأن الله هاديه، وجبريل يكلمه ويناديه، وما كَلَّ لأنه صاحب عزيمة وهمة كريمة، وما ملَّ لأنه أعطى الصبر، وشُرح له الصدر.

شرح الله له صدره، ورفع الله له ذكره، ووضع الله عنه وزره، وزكاه ربه في كل شيء؛

زكاه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم:٢]

وزكاه في صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم:٣]

وزكاه في علمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٥]

وزكاه في فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١]

وزكاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧]

وزكاه في صدره فقال: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح:١]

وزكاه في ذكره فقال: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:٤]

وزكاه كله فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].

بل أخذ الله العهد على كل نبي ورسول أن يؤمن بالرسول ويصدقه

قال تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:٨١]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَمِّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ، لئن بَعَث محمدًا وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وأمَرَه أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

عباد الله: ما ذا عن النبي الإنسان ؟

تعالوا لنتخطى اليوم أسوار الزمان حتى نصل اليوم إلى عتبة النبي الإنسان.

اسمع يا تاريخ إن تاريخ محمد لم يكن أسطوراً من الأساطير، بل هو حق لا مرية فيه، وصدق لا كذب معه.

قال سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ -عَنْ خُلُق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَتْ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فقلتُ: نَعَمْ. فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ [٣٠].

---

(٣٠) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٦٠١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٨) بسند صحيح

وفي الصحيحين عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَقَهُمْ عَلَى فَرَسٍ»، وَقَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»**(٣١)

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **" لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا،** وَكَانَ يَقُولُ: **«إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»**(٣٢)

أما عن أخلاق محمد صلى الله علبه وسلم، فحدث ولا حرج فهو أصدقُ الناسِ وأحلمُ الناس وأشد الناس تواضعا، وأرفق الناس بالناس، وأرحم الناس بالناس، وأشد الناس حياءً .

محمد صلى الله عليه وسلم أصدق الناس

صدقه ما صدقه ! !

هو أصدق الناس، بل لقب قبل البعثة بالصادق الأمين، وكيف لايكون أصدق الناس وهو القائل كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى**

---

(٣١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٢٠) ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٠٧)

ومعنى (وجدناه بحرا) : أي واسع الجري

(٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٥٩) وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٢١)

الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(٣٣)

والقائل كما في سنن الترمذي بسند صحيح من حديث الحسن بن علي قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ»**(٣٤)

محمد صلى الله عليه وسلم إمام المتواضعين

كيف لا يكون إمامَ المتواضعين وهو القائل كما في صحيح مسلم من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**(٣٥)

تواضع مع ربه

روى الطبراني في الكبير بسند فيه مقال عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: **«إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَلَكًا منَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ الْمَلَكِ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ الْمَلَكُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا أَوْ نَبِيًّا مَلِكًا؟ فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَالْمُسْتَشِيرِ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَنْ تَوَاضَعْ.**
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا ".

---

(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٩٤) ومسلم في صحيحه (٢٦٠٧)

(٣٤) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) وقال : هذا حديث صحيح

(٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥)

فَمَا رُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَكَلَ مُتَّكِئًا حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ»(٣٦).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ. جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْزَتَهُ** (الحجزة مَوضِع شدّ الإزار) **لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا.**

قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ قَالَ: فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ قَالَ: فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا ". قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا يَقُولُ: «آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ» (٣٧)

بل جاءه الأعرابي يكلمه وهو يرتجف، لأنه يكلم إمامَ البشرية

عَنْ أبي مسعود **«أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ رِعْدَةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "هَوِّنْ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»** (٣٨).

---

(٣٦) أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير(١٠٦٨٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢٠/٩) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ مُدَلِّسٌ.

(٣٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٩٢٠) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ عَائِشَةَ به ، وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي؛ قال الحافظ في "التقريب": ضعيف.

(٣٨) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٣١٢) قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٦٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٩/٤): هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات رَوَاهُ الْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرك من طَرِيق جَعْفَر بن عون بِهِ وَلَفظه أَنه كلم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم =

نعم أنت كذلك لكن دينك دخل القارات الست ، فما من مكان تذهب إليه إلا وتسمع صوت المنادي ينادي أشهد أن لا إله إلا الله
أشهد أن محمدا رسول الله.
تواضع لله فرفعه الله على سائر البشر.

فقال كما عند الترمذي بسند صحيح من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ"** فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: "إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي المِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي المَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ القِيَامَةِ"(٣٩)

وأخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح من حديث أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَتَوَفَّنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ، وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ"**(٤٠)

قال ابن الأثير في "النهاية": "أراد به التواضع والإخبات وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين"

= يَوْم الْفَتْح فَأَخَذته الرعدة فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ..... ثم قال "وَالْمَحْفُوظ عَن إِسْمَاعِيل بن أبي خَالِد عَن قيس مُرْسلا من غير ذكر أبي مَسْعُود"

(٣٩) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٢) وقال: هذا حديث غريب، وصححه الألباني

(٤٠) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٩١١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

وكانت الأمة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم تنطلق به حيث شاءت حتى يقضي لها حاجتها

ويقول الحسن البصري رحمه الله كما ذكر **ابن الجوزي** رحمه الله في صفة الصفوة : "أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ولا يقوم دونه الحجاب ولا يغدى عليه بالجفان ولا يراح عليه بها ولكنه كان بارزا من أراد أن يلقى نبي الله لقيه وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض يلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف عبده ويعلف دابته بيده صلى الله عليه وسلم"(٤١).

محمد صلى الله عليه وسلم أحلم الناس

حلمه ما حلمه ! ! عفا عمن ظلمه وشتمه، وآذه، وسبه ولعنه ووضع سلا الجزور على ظهره، وخنقه في صلاته.

انظر إليه يوم دخل مكة فاتحا بإشارة منه كان بإمكانه أن يحول مكة إلى بركة دماء.

ولكن اسمع ماذا حدث ؟

قَالَ: "مَا تَقُولُونَ إِنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ" ؟

قَالُوا: خَيْرًا.. أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

فَقَالَ: أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ:"لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ" الآية [يوسف:٩٢] **"اذهبوا فأنتم الطلقاء"**(٤٢).

---

(٤١) ينظر صفة الصفوة (٦٧/١)

(٤٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٨٢٧٥) ورواه ابن إسحاق في "السيرة" (٣١/٤- ٣٢) ، وعنه الطبري في" التاريخ " (١٢٠/٣) ونقله الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٣٠٠/٤-٣٠١) =

والله ما يفعل مثل هذا في التاريخ، ولكنه يفعله رسول كريم لم يرد بدعوته ملكا ولا سيطرة، إنما أراد الله له أن يكون هاديا وفاتحا للقلوب والعقول، ولهذا دخل مكة خاشعا شاكرا لله ، لا يزهو كما يفعل عظماء الفاتحين.

وفي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ"، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ(٤٣)

ما أحلمك رسول الله !!

فإذا رحمت فأنت أمُ أو أبُ ... هذان في الدنيا هما الرحماءُ

وإذا أخذتَ العهدَ أو أعطيتَه ... فجميع عهدك ذمة ووفاءُ

وأبديتَ حلمَك للسفيه مدارياً ... حتى يَضيقَ بحلمك السفهاءُ

= ساكتا عليه. وقال الحافظ العراقي –رحمه الله–: "رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء وفيه ضعف (١٣) ". وذكره ابن السبكي في الأحاديث التي لم يجد لها إسنادًا في إحياء علوم الدين ، ولا ريب أنه – صلى الله عليه وسلم – قد أمّن أهل مكة على أنفسهم بقوله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه مسلم"من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن " وهو أمر لم يعرف التاريخ، ولن يعرف له مثيلًا في العفو والصفح. والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١١٦٣) وانظر ما شاع ولم يثبت في السيرة للدكتور/ محمد بن عبد الله العوشن ص ١٩٠

(٤٣) صحيح البخاري (٥٨٠٩) وصحيح مسلم (١٠٥٧)

محمد صلى الله عليه وسلم معلما ومربيا

كان أعظم المربين فهو رفيق في تعليمه فهو القائل كما في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها **"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**(٤٤)

وقال صلى الله عليه وسلم **"إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ "**(٤٥)

كان يصل إلى قلوب الناس بألين السبل ، **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران :١٥٩].

وهذا أعرابي كما في الصحيحين واللفظ لمسلم قَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ»** فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: **«إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»** أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ"(٤٦)

---

(٤٤) صحيح مسلم (٢٥٩٤)

(٤٥) صحيح البخاري (٦٩٢٧) وصحيح مسلم (٢٥٩٣)

(٤٦) صحيح البخاري (٦٠٥٢) وصحيح مسلم (٢٨٤، ٢٨٥)

ليس في قاموس حياته كلمة نابية، ولا بذيئة، ولا فاحشة، وإنما طهر كله، ونقاء كله، وصفاء كله؛ لأنه رحمة مهداة ونعمة مسداة وبركة عامة وخير متصل .

ماذا أقول عن محمد الرسول ؟

أقول كما قال الكبير المتعال ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم :٤]

أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وأقام به الحجة، وسد كل طريق إلى الجنة إلا من طريقه، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

وبعد:

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم لا تنصفه الأقلام ، وليس حبه كلمات تقال في ذكر مولده إنما حبه اتباع له ولهديه

من يدعي حب النبي ولم يفد من هديه فسفاهةٌ وهراءُ

فالحب أول شرطه وفروضه إن كان صدقاً طاعة ووفاءُ

ومن علامات محبته:

أولا: أن لا تقدم قولا على قوله ولا فعلا على فعله

قال تعالى ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الحجرات:١]

قال القرطبي: أَيْ لَا تُقَدِّمُوا قَوْلًا وَلَا فِعْلًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ وَفِعْلِهِ فِيمَا سَبِيلُهُ أَنْ تَأْخُذُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَمَنْ قَدَّمَ قَوْلَهُ أَوْ فِعْلَهُ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ قَدَّمَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَأْمُرُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.(٤٧)

قال ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَا تَقْضُوا أَمْرًا دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ شَرَائِعِ دِينِكُمْ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: **﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** بقول ولا فعل.

ثانيا: أن تحبه محبة تفوق كل المحاب

ففي الصحيحين من حديث أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"**(٤٨)

قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رحمة الله عليهم: المحبة ثلاثة أقسام محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة في محبته.

قال ابن رجب في شرحه على صحيح البخاري المسمى فتح الباري (١/٤٨-٤٩) :محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصول الإيمان وهي مقارنة لمحبة الله عز وجل، وقد قرنها الله بها، وتوعد من قدم عليها شيء من الأمور المحبوبة طبعا من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك،

---

(٤٧) تفسير القرطبي (١٦/٣٠٠)

(٤٨) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤)

فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾ [التوبة: ٢٤] .

ولما قال عمر رضي الله عنه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: **" لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك "**، فقال عمر: والله أنت الآن أحب إلي من نفسي، قال: **" الآن يا عمر"**.

فيجب تقديم محبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النفوس والأولاد والأقارب والأهلين والأموال والمساكين، وغير ذلك مما يحبه الناس غاية المحبة، وإنما تتم المحبة بالطاعة كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]

وسئل بعضهم عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال.

فعلامة تقديم محبة الرسول على محبة كل مخلوق: أنه إذا تعارض طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوامره وداع آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإن قدم المرء طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي: كان دليلا على صحة محبته للرسول وتقديمها على كل شيء، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من هذه الأشياء المحبوبة طبعا: دل ذلك على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه.

وكذلك القول في تعارض محبة الله ومحبة داعي الهوى والنفس، فإن محبة الرسول تبع لمحبة مرسله عز وجل. هذا كله في امتثال الواجبات وترك المحرمات. فإن تعارض داعي النفس ومندوبات الشريعة، فإن بلغت

المحبة على تقديم المندوبات على دواعي النفس كان ذلك علامة كمال الإيمان وبلوغه إلى درجة المقربين والمحبوبين المتقربين بالنوافل بعد الفرائض، وإن لم تبلغ هذه المحبة إلى الدرجة فهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين الذين كملت محبتهم ولم يزيدوا عليها.

ثالثا: أن تكثر من الصلاة والسلام عليه

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٦]

"فالصلاة عليه جلاء الأبصار، ونور البصائر، وراحة الأرواح، وقرة العيون، ومسك المجالس، وذهاب الهموم، وطرد الأحزان، جالبة للسرور، وانشراح الصدور، وتكامل الحبور، وتعاظم النور.

فالصلاة عليه علامة الحب، ودليل الصلاح، وطريق الفلاح " [٤٩]

ففي سنن النسائي بسند صحيح من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ"**[٥٠]

وفيما خرجه الترمذي بسند حسن من حديث سيد القراء أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ"، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟**

---

(٤٩) محمد كأنك تراه للشيخ عائض القرني ص١٥١

(٥٠) سنن النسائي (١٢٩٧) بسند صحيح

فَقَالَ: "مَا شِئْتَ". قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: "مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: "إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ"(٥١)

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية، فيما نقله ابن القيم عنه في "جلاء الأفهام" ص ٧٩، عن تفسير هذا الحديث فقال: كان لأُبي بن كعب دعاءٌ يدعو به لنفسه، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل يجعل له منه ربعَه صلاةً عليه، فقال: "إنْ زِدْتَ فهو خيرٌ لك" فقال: النصفَ؟ فقال: "إن زدتَ فهو خير لك " إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلَّها، أي: أجعلُ دعائي كلَّه صلاةً عليك، قال: **" إذاً تُكفَى همَّك، ويُغفَر لك ذنبُك"** لأن مَن صلَّى على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً، ومن صلَّى الله عليه، كفاه همَّه، وغفر له ذنبه.

فصلى الله على النبي ما اختلف الليل والنهار، وهطلت الأمطار، ودنت الثمار، واهتزت الأشجار، وعلى آله الطيبين من المهاجرين والأنصار ومن اقتفي تلك الآثار.

اللهمَّ زِدْنا وَلَا تَنْقصْنا وأكْرِمْنا وَلَا تُهِنَّا وأعْطِنا وَلَا تَحْرِمْنا وآثِرْنا وَلَا تُؤْثِرْ علينا وأرضنا وارض عنا.

اللهُمَّ إنّا نعُوذ بكَ منْ قلْبٍ لَا يَخْشَعُ ومنْ دُعاءٍ لَا يُسْمَعُ ومنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ومنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ.

---

(٥١) أخرجه الترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» والحاكم في مستدركه (٣٥٧٨) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

اللَّهُمَّ إنَّا نسْألُكَ الفَوْزَ فِي القَضاءِ ونُزْلَ الشُّهَداءِ وَعَيْشَ السُّعَداءِ والنَّصْرَ على الأَعْداءِ .

اللَّهُمَّ إنَّا أنْزلنا بِكَ حاجَتنا فإنْ قَصُرَ رَأْينا وضَعُفَ عَمَلنا افْتَقَرْنا إِلَى رَحْمَتِك فنسْألكَ يَا قاضِيَ الأُمُورِ وَيَا شافِيَ الصُّدُورِ كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ البُحُورِ أنْ تَجِيرَنا مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ ومِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ ومِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ ؛ اللَّهُمَّ يَا ذَا الحَبْلِ الشَّدِيدِ والأَمْرِ الرَّشِيدِ نسْألُكَ الأمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ والجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُودِ مَعَ المُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ المُوفِينَ بالعُهُودِ إنَّكَ رَحِيمٌ ودُودٌ وإنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا هادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ سِلْماً لأَوْلِيائِك وعَدُوّاً لأَعْدائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أحَبَّكَ ونُعادِي بِعَداوَتِكَ مَنْ خالَفَكَ؛ اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعاءُ وَعَلَيْكَ الإجابَةُ وَهَذَا الجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلان.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ".

التوقيع الأخير

الْحَمد لله الَّذِي أذلّ بِالْمَوْتِ رِقَاب الْجَبَابِرَة، وَكسر بصدمته ظهُور الأكاسرة، وَقصر ببغتته آمال القياصرة الَّذِي أدَار عَلَيْهِم حلقته الدائرة وَأَخذهم بِيَدِهِ الْقَاهِرَة فقذفهم فِي ظلمات الحافرة لم يمنعهُم مَا حصنوه من المعاقل والحصون، وَلَا حرسهم مَا بعثوه من الحرس والعيون وَلَا فداهم من ريب الْمنون مَا ادخروه من علق مصون وَذهب مخزون، بل صدمهم بركنه الشَّديد وصبحهم بجيشه المديد وأنفذ فيهم مَا كتب عَلَيْهِم من الْوَعيد. ونقلهم من لين المهود إِلَى خشونة اللحود، وأبدلهم من نعمتهم بؤسا وأنطق بالعويل أَلْسِنَة خرسا، وصيرهم حَدِيثا يذكر على مر الزَّمَان وَلَا يُنْسى.

فسبحان من تفرد بِالْعِزَّةِ والكبرياء، وتوحد بالديمومة والبقاء، وطوق عباده بطوق الفناء، وَجعل الْمَوْت مخلصا لأوليائه السُّعَدَاء، وهلكا لأعدائه الأشقياء، فسبحان الَّذِي بِيَدِهِ ملكوت كل شَيْء وَإِلَيْهِ ترجعون.

وَأشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ الْعَزِيز الْوَهَّاب الغفور التواب ملك الْمُلُوك وَرب الأرباب .

وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، الْمُخْتَص بخصائص التَّوْفِيق الدَّاعِي إِلَى أنهج سَبِيل، وأوضح طَرِيق صلى الله عَلَيْهِ صَلَاة تزيده شرفا وترفعه زلفى وتوردنا مورده الَّذِي عذب وَصفا، وعَلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَان إِلَى يَوْم الدّين .

أما بعد:

فحياكم الله جميعا في هذا اليوم الكريم المبارك وأسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنا في الآخرة مع النبي المصطفى في جنات نعيم .

أحبتي في الله: التوقيع الأخير

هذا هو عنوان لقاءنا في هذا اليوم الكريم وأسأل الله الكريم أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير.

أيها الأحبة: ساعات الاحتضار هي الساعات الأخيرة من عمر الإنسان الذي حدده الله لكل مخلوق، وهي من أقسى الساعات وأشدها عليه في حياته، وهي ساعات لم يبعث أحدٌ بعد الموت ليحدثنا عن تفاصيلها والآمها ومعاناتها، ويكفينا لمعرفة ذلك أن سيد الخلق وخير الخلق وحبيب الحق وخاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند احتضاره وهو يمسح العرق عن جبينه كما روى البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: **"لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ"**

ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: **"فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى"**

حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ " (٥٢)

(٥٢) صحيح البخاري برقم (٦٥١٠)

وزاد الترمذي بسند ضعيف **"اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ أَوْ سَكَرَاتِ المَوْتِ"** (٥٣)

يحدث هذا لسيد الخلق فكيف بمن هو دونه ؟!

إنها ساعات يزول فيها خوف المحتضر من كل شيء، الخوف على النفس، والخوف على الرزق، والخوف من المستقبل، والخوف بجميع أنواعه المزيفة .

ذلك الخوف الذي كان يمنعه من النطق بالحقيقة التي كان يؤمن بها، ومن الكلمة التي كان يعتقدها، ومن الفعل الذي كان يعلم صوابه .

يزول هذا الخوف ويبقى خوف واحد يلازمه في تلك الساعات وهو الخوف الحقيقي الذي أُمر به ألا وهو الخوف من الله .

وعندما يستسلم المحتضر للموت الذي يأكل جسده ، وأحباؤه يرونه ينازع السكرات وهو صامت لا يتكلم .

أين العينان ؟ ما أجمدهما !

أين اللسان ؟ ما أخرسه !

أين الآذان ؟ ما أصمها !

---

(٥٣) سنن الترمذي برقم (٩٧٨) قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ ابْنِ الهَادِ، عَنْ مُوسَى ابْنِ سَرْجِسَ، عَنْ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، به وقال: حديث غريب .

وأخرجه الحاكم في مستدركه برقم (٣٧٣١) من طريق قتيبة به وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي

وأخرجه ابن ماجه برقم (١٦٢٣) من طريق الليث به.

قلت: وإسناده ضعيف ؛ فيه موسى بن سرجس وهو مجهول لم يؤثر توثيقه عن أحد. قال ابن حجر في التقريب: مستور

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣ -٩٦]

وقال تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٢٦-٤٠]

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قَالَ: عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ مَنْ رَاقٍ يَرْقِي؟ وَكَذَا قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: **{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}** أَيْ: مَنْ طَبِيبٌ شَافٍ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَروى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ من طريق عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}** قَالَ: قِيلَ: مَنْ يَرْقَى بِرُوحِهِ: مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ أَمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ؟ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ.

من الذي يحول بينه وبين الموت ؟ لا أحد ؛ لأن أجل الله جاء ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف:٤٣]

في هذه اللحظات ينطق الإنسان بكلماته الأخيرة ، إنه التوقيع الأخير.

إن الكلمات التي ينطق بها الإنسان في هذه اللحظات تكون مجردة من كل أنواع الموانع التي كانت تعكر صفوها .

يقول النَّدْوي - رحمه الله – "ساعة الموت ساعة تتجلى فيها المعاني الروحية والمراتب الإيمانية . ساعة تتجلى فيها المعاني والحقائق التي جاهدوا لأجلها ، وضحوا من أجلها ، وعاشوا لها ، وحنوا إليها كما يحن الطائر إلى وكره .

إنها ساعات الشوق ..... ، إنها ساعات التثبيت .....

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]

إنه التثبيت لمن عاش على الإيمان، وأفنى حياته لله، مصداقاً لقول الله **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام ١٦٢-١٦٣]

فتعالوا بنا أيها الأحبة لنرى كيف استقبل العارفون الموتَ وكيف ودعوا الدنيا ؟

أيها المسلمون: إنها صور وعبر نسوقها اليوم ليس من أجل الاستمتاع، إنما نسوقها لتكون كلماتهم نبراسا ينير الدرب للسائرين من بعدهم على هذه الجادة، لا نسوقها من جيل بعينه إنما هي صور لأشخاص على مر العصور والأزمان ؛ لنرى كيف ثبت الله القوم ؟

محمد رسول الله

وتعالوا بنا لنبدأ بإمام الموحدين وقائدهم وأسوتهم صلى الله عليه وسلم الذي اشتاق للقاء ربه ومولاه، فقال كما في الصحيحين من حديث أَبِي

سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: **"إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ" فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ،**

وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ،" (٥٤)

أيها الناس: إنه الشوق ليس إلى الموت ولكن إلى ما بعد الموت، إنه الشوق إلى لقاء الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث عبادة ابن الصامت – رضي الله عنه – ، أن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"**(٥٥)

---

(٥٤) أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٤) وأخرجه مسلم رقم (٢٣٨٢) .

(٥٥) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٧) وأخرجه مسلم برقم (٢٦٨٣ – ٢٦٨٤)

قَالَ ابن الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ: "الْمُرَادُ بِلِقَاءِ اللَّهِ هُنَا الْمَصِيرُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ وَطَلَبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَيْسَ الْغَرَضُ بِهِ الْمَوْتَ لِأَنَّ كُلًّا يَكْرَهُهُ فَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَهَا أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَمَنْ آثَرَهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِالْمَوْتِ"

وقال الْإِمَامُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: "فَقَالَ لَيْسَ وَجْهُهُ عِنْدِي كَرَاهَةَ الْمَوْتِ وَشِدَّتَهُ لِأَنَّ هَذَا لَا يَكَادُ يَخْلُو عَنْهُ أَحَدٌ وَلَكِنَّ الْمَذْمُومَ مِنْ ذَلِكَ إِيثَارُ الدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَكَرَاهِيَةُ أَنْ يَصِيرَ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ قَالَ وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَابَ قَوْمًا بِحُبِّ الْحَيَاةِ فَقَالَ **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾**

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَى مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلِقَاءِ اللَّهِ إِيثَارُهُ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا يُحِبُّ اسْتِمْرَارَ الْإِقَامَةِ فِيهَا بَلْ يَسْتَعِدُّ لِلِارْتِحَالِ عَنْهَا وَالْكَرَاهَةُ بِضِدِّ ذَلِكَ.

صديق الأمة الأكبر والتوقيع الأخير

وهذا صديق الأمة الأكبر أبو بكر الصديق حامل ذروة سنام الصدق العتيق من النار ينام على فراش الموت فيوصي عمر بن الخطاب بوصية خالدة، أوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أي شيء، حتى يمضي إلى ربه خاليًا من أي تبعة، بعد أن بذل قصارى جهده واجتهاده، وقد جاء في الوصية: "اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحق غدًا أن يكون ثقيلاً. وإنما

خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في دار الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا.

وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف أن لا ألحق بهم. وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون من هؤلاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه" (٥٦)

إنه يعرض على خليفته في كلماته الأخيرة المنهج الإيماني الذي يجب أن يتبعه إذا أراد النجاح في قيادة الأمة .

ولخص المنهج في عدة ركائز إيمانية جامعة:

أولا: أوقات العبادة

ثانياً: الاهتمام بالفرائض

أهم أوقات العبادة هي الفرائض وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها حتى ولو كان سبب تأخيرها هو الاشتغال بالنافلة، وهو لا يعني بالفريضة الصلاة والصيام والزكاة فحسب بل يعني كل فريضة فرضها الله وعاقب على تركها، فلا يصح الاهتمام بالنوافل على حساب الفرائض كالذي يقوم الليل ولا يستيقظ لصلاة الفجر .

ثالثا: ترك القنوط.

---

(٥٦) وصايا العلماء لابن زبر الربعي ص٤٣، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/١٠٠)

رابعاً: الخوف والرجاء: فلا يستقيم سير المؤمن باختلال التوازن بين الخوف والرجاء ، فالإنسان إذا غلب عليه الخوف ربما قنط ، و؟إذا غلب عليه الرجاء ربما اتكل فلا بد من التوازن بينهما .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - " الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، وَلَكِنَّ السَّلَفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصِّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يَقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ، هَذِهِ طَرِيقَةُ أَبِي سُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِ، قَالَ: يَنْبَغِي لِلْقَلْبِ أَنْ يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفَ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فَسَدَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ: اعْتِدَالُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَغَلَبَةُ الْحُبِّ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ الْمَرْكَبُ. وَالرَّجَاءُ حَادٍ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ، وَاللَّهُ الْمُوَصِّلُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ". (٥٧)

خامسا: استشعار ميزان الآخرة .

يا لها من وصية عظيمة ينطق بها الصديق في هذه اللحظات الحاسمة العصيبة !!

ألم أقل لكم ساعة الموت ساعة تتجلى فيها الحقائق .

وانظر معي أخي إلى حوار آخر للصديق وهو على فراش الموت

---

(٥٧) مدارج السالكين (٥١٣/١)

عَنْ أَبِي السَّفَرِ قَالَ مَرِضَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَادَهُ النَّاسُ فَقَالُوا أَلا نَدْعُو لَكَ الطَّبِيبَ ؟ قَالَ: قَدْ رَآنِي قَالُوا فَأَيَّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ قَالَ: قَالَ إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ ! !

وعند أبي يعلى في مسنده بسند صحيح لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ جَاءَتْ عَائِشَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا فَتَمَثَّلَتْ بِهَذَا الْبَيْتِ

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ قُولِي ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تحيد**﴾ انْظُرُوا ثَوْبَيَّ هَذَيْنِ فَاغْسِلُوهُمَا وَكَفِّنُونِي فِيهِمَا فَإِنَّ الْحَيَّ أَحْوَجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ(٥٨).

رضي الله عنك يا أبا بكر .

عمر بن الخطاب والتوقيع الأخير

وفي يوم حزين من أيام الأمة الإسلامية خرج عمر يصلي بالناس صلاة الفجر وجاء العلج الوقح ليطعن الأسد في عرينه .

روى البخاري في صحيحه (٥٩) من طريق عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ ابْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: " كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ؟

قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ،

---

(٥٨) أخرجه مطولا أبو يعلى في مسنده بسند صحيح رقم (٤٤١٥)

(٥٩) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠)

قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ،

قَالَ: قَالاَ: لاَ،

فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ المُغِيرَةِ،

قَالَ: الصَّنَعُ؟

قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، - وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا –

فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟

قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ. فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ،

قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلاَمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ، مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَال يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ،

فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟

قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ،

قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ،"

الله أكبر أمير المؤمنين يحتضر ومع ذلك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وفي مسند أحمد بسند صحيح أن ابن عباس دخل عليه فقال لَهُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، صَاحَبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطَلْتَ صُحْبَتَهُ، وَوُلِّيتَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَوِيتَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ.

فَقَالَ: أَمَّا تَبْشِيرُكَ إِيَّايَ بِالْجَنَّةِ، فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ مَا أَمَامِي قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ الْخَبَرَ، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافًا، لَا لِي وَلا عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ (٦٠).

أيها الناس: فاروق الأمة الأواب لم يكن من الصنف الذي ينتفش عند المديح وينسى حقيقة نفسه، بل يفترض لو أن الدنيا كلها كانت في ملكه لافتدى بها من أجل الخلاص من هول هذه اللحظات .

وقال عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: "أَنَا آخِرُكُمْ عَهْدًا بِعُمَرَ. دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: ضَعْ خَدِّي بِالأَرْضِ.

قَالَ: فَهَلْ فَخِذِي وَالأَرْضُ إِلا سَوَاءٌ؟

(٦٠) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٣٢٢) وإسناده صحيح

قَالَ: ضَعْ خَدِّي بِالأَرْضِ لا أُمَّ لَكَ. فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ. ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَيْلِي وَوَيْلُ أُمِّي إن لم يغفر الله لي. حتى فاضت نَفْسُهُ" (٦١).

عثمان بن عفان والتوقيع الأخير

وهذا عثمان بن عفان ذو النورين، الذي اشترى الجنة مرتين، العابد الأواب، القانت القائم، لما حوصر – رضي الله عنه – دخل عليه عبد الله ابن سلام فقال له: مَرْحَبًا بِأَخِي، مَرْحَبًا بِأَخِي، مَا يَسُرُّنِي أَنَّكَ وَرَاءَكَ، أَلَا أُحَدِّثُكَ مَا رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْخَوْخَةِ، وَإِذَا خَوْخَةٌ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: "حَصَرُوكَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ،

قَالَ: "أَعْطَشُوكَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَدْلَى لِي دَلْوًا مِنْ مَاءٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى رَوِيتُ، فَإِنِّي لَأَجِدُ بَرْدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ وَبَيْنَ ثَدْيَيَّ،

قَالَ: "إِنْ شِئْتَ نُصِرْتَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَفْطَرْتَ عِنْدَنَا"، فَاخْتَرْتُ أَنْ أُفْطِرَ عِنْدَهُ، قَالَ: فَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦٢).

---

(٦١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢٧٤) بسند صحيح

(٦٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٩٤٦)، وأحمد في فضائل الصحابة (٧٩٢) من طريق فَرَج بْن فَضَالَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَرْوَانُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، به، وهذا إسناد ضعيف؛ في إسناده: فرج بن فضالة، قَالَ: يحيى بن معِين وَالنَّسَائِيّ ضَعِيف الحَدِيث وَقَالَ البُخَارِيّ: مُنكر الحَدِيث وَقَالَ: ابْن حبَان يقلب الْأَسَانِيد وَيلْزق الْمُتُون الْوَاهِيَة بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَة لَا يحل الِاحْتِجَاج بِهِ، وقال: ابن حجر في التقريب ضعيف.

والجزء المرفوع منه ورد من طرق أخرى متعددة لا يخلو واحد منها عن ضعف، إلَّا أنه بمجموع هذه الطرق حسن لغيره إن شاء تعالى.

علي بن أبي طالب والتوقيع الأخير

وهذا علي الذي كان يقول كما ذكر البخاري في صحيحه: " إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ اثْنَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ "[٦٣]

---

(٦٣) أخرجه البخاري معلقا (٨٩/٨)

وقال الحافظ في «الفتح» (٢٤٠/١١) : هذه قطعة من أثر لعلي جاء عنه موقوفا ومرفوعا.

فعند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٩٥) ، وابن المبارك في «الزهد» (٢٥٥) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، وزبيد الأيامي عن رجل من بني عامر، وسمي في رواية لابن أبي شيبة، مهاجر العامري، وكذا في «الحلية» (٧٦/١) من طريق أبي مريم، عن زبيد، عن مهاجر ابن عمير قال: قال علي، فذكره. ومهاجر المذكور هو العامري المبهم قبله، وما عرفت حاله.

قال الشيخ الألباني في الضعيفة (٢٠٠/٥): هو معروف، وقد نسبه أبو نعيم في روايته فقال: مهاجر بن عمير، ومن المحتمل أن يكون هو الذي في التاريخ الكبير (٣٨٢/١/٤) والجرح والتعديل (٢٦١/١/٤): مهاجر بن عميرة، روى عن علي، روى عنه عدي بن ثابت الأنصاري .

وكذا ذكره ابن حبان في " ثقات التابعين " (٤٢٨/٥)، وساق له أثرا آخر عن علي في ضرب الشارب وإيجاعه. ويحتمل احتمالا كبيرا أن يكون هو الذي في " التاريخ " أيضا (٣٨١/١/٤) : "مهاجر بن شماس العامري عن عمه. روى عنه فضيل بن غزوان". وهذا ذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين (١٧٩/٩). وقد جزم بأنه هو ابن أبي حاتم، وأنا أنقل كلامه لما فيه من الفائدة العزيزة التي خفيت على الحافظ ابن حجر رحمه الله، فقال بعد ترجمة ابن عميرة بثلاث تراجم: "مهاجر بن شماس، وهو مهاجر العامري، كوفي، روى عن عمه، روى عنه فضيل بن غزوان، ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: مهاجر العامري ثقة ".

قلت (أي الألباني): وعلى هذا، فإسناد ابن أبي شيبة وغيره ثقات، فهو صحيح إن كان العامري سمعه من علي، لكن قوله فيه: " قال: قال علي "صورته صورة المرسل، ويؤيده إيراد ابن حبان للعامري في أتباع التابعين. والله أعلم. =

وفي الليلة التي أصيب فيها اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قيكا

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه

فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله وعنه فجعلت تقول: مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة.

معاوية والتوقيع الأخير

ولما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال: أقعدوني فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى، وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط إلا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال: يا رب أرحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك .

= وقال ابن حجر: وقد **جاء مرفوعا** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «قصر الأمل» برقم (٣) من رواية اليمان بن حذيفة، عن علي بن أبي حفصة مولى علي، عن علي بن أبي طالب، فذكر معناه، واليمان وشيخه لا يعرفان. وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَنْدَهْ مِنْ طَرِيقِ الْمُنْكَدِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا وَالْمُنْكَدِرُ ضَعِيفٌ وَتَابَعَهُ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي عَلِيّ اللهبي عَن ابن الْمُنْكَدِرِ بِتَمَامِهِ وَهُوَ ضَعِيفٌ أَيْضًا

مما سبق فالحديث **لا يصح، لا مرفوعا، ولا موقوفا.**

معاذ بن جبل والتوقيع الأخير

ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحبًا بالموت زائر مُغِبّ وحبيب جاء على فاقة اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لطول ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ثم قبض -رحمه الله-.

عامر بن عبد القيس والتوقيع الأخير

ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاةُ غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وآبعد سفراه وآقلة زاده .

محمد بن المنكدر والتوقيع الأخير

وهذا مُحَمَّد بن الْمُنْكَدر رَضِي الله عَنهُ أَنه لما نزل بِهِ الْمَوْت بَكَى فَقيل لَهُ مَا يبكيك فَقَالَ مَا أبْكِي حرصا على الدُّنْيَا وَلَا جزعا من الْمَوْت وَلَكِن أبْكِي على مَا يفوتني من ظمأ الهواجر وَقيام ليَالِي الشتَاء .

الشافعي والتوقيع الأخير

ودخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله

فقال: أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها

ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منَّة وتكرما

ولولاك لم يغوي بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما

أقول قولي هذا واستغفر الله الكريم لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الباقي فلا يفنى ولا يبيد، وأشهد أن لا إله إلا الله المبدي المعيد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أفضل الأنبياء وأكرم العبيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:-

فاتقوا الله -عباد الله- واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، واتقوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً.

أيها الناس: بعد أن سمعنا هذه التوقيعات الأخيرة للسلف الصالح نجد معظمها ينحصر في ثلاثة أمور:

الأول: التفكير فيما قدم من أعمال

نعم في هذه اللحظات الأخيرة يستعرض الإنسان ما قدم من أعمال ، يستعرض الخصومات مع الآخرين ، يستعرض ما رأته عيناه من العورات

المحرمة ومناظر الفسق والفجور، كلما التفت إلى السيء من أعماله خاف أن يدخله الله بسببها النار، فذرفت دموعه على ماهو مقدم عليه، ويزيد من خوفه ذلك انقطاع العمل وإغلاق باب التوبة .

هذا الفضيل لما حضرته الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه

وقال : وآبعد السفر ، وآقلة الزاد !!.

وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة ؟

فقال: القدوم على الله شديد !!

ثانيا: الإحساس بحجم الدنيا

الإنسان عند الموت يشعر بحجم الدنيا، ويعلم وقتها حجم الدنيا، وأنها حقا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء.

انظروا إلى الملوك والأمراء والرؤساء والحكام الذين جمعوا الأموال وبنوا الدور والقصور، انظروا إليهم في هذه اللحظات كيف هانت عليهم الدنيا ؟

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاةُ نظر إلى غَسّال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة

فقال عبد الملك: ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيئا .

فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه

وحكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول ﴿**ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه**﴾

وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ! !

وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين

فقال ليس: إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة .

ثالثا: التفكير فيما سيقدم عليه من البرزخ والحياة الآخرة

نعم قد كان يسمع ويقرأ كثيرا عن نعيم القبر وعذابه وعن النفخ في الصور والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والحوض والجنة والنار لكن في هذه اللحظات يحس فيها بمفارقة أكيدة لهذه الدار .

فتارة تأتي أمامه صورة القبر اللحيد الضيق ، بيت التراب والدود الذي قال عنه النبي قيما خرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عَنْ هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ"**(٦٤)

---

(٦٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٨) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ يُوسُفَ "

وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٦٧) والحاكم في مستدركه (٧٩٤٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبي

وترآه يتصور صورة منكر ونكير وهما يسألانه وينهرانه

وساعة يتذكر دقة الحساب عن مثقال الذر من الخير والشر.

وساعة يتذكر الميزان ، وساعة يتذكر الصراط ، وساعة يتذكر جهنم وقد لظى سعيرها وعلا لهيبها وهو يمشي أحياناً ويزحف أخرى

"أبت نفسي تتوبُ فما احْتِيالي إذا برز العبادُ لذي الجلالِ
وقاموا من قبورهم سكارى بأوزار كأمثال الجبالِ
وقد نُصِبَ الصراطُ لكي يجوزوا فمنهم من يكب على الشمالِ
ومنهم من يسير لدار عدنٍ تلقاه العرائسُ بالغوالي
يقول له المهمينُ يا وليي غفرتُ لك الذنوبَ فلا تُبالي"(٦٥)

قال الغزالي – رحمه الله – في "الإحياء" : "فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يَوْمَ تَرَى السَّمَاءَ فِيهِ قَدِ انْفَطَرَتْ، وَالْكَوَاكِبَ من هوله قد انتثرت، وَالنُّجُومَ الزَّوَاهِرَ قَدِ انْكَدَرَتْ وَالشَّمْسَ قَدْ كُوِّرَتْ، والجبال قد سُيِّرَتْ، وَالْعِشَارَ قَدْ عُطِّلَتْ، وَالْوُحُوشَ قَدْ حُشِرَتْ، وَالْبِحَارَ قَدْ سُجِّرَتْ، وَالنُّفُوسَ إِلَى الْأَبْدَانِ قَدْ زُوِّجَتْ، وَالْجَحِيمَ قَدْ سُعِّرَتْ، وَالْجَنَّةَ قَدْ أُزْلِفَتْ، والجبال قد نسفت، والأرض قد مدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زالزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة، يوم ترج الأرض فيه رجا، وتبس الجبال بسا، فكانت هباء منبثا، يوم يكون الناس كالفراش

(٦٥) التذكرة ص ٧٥٣

المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يَوْمَ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شديد يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان يوم يمنع فيه العاصى من الكلام ولا يسئل فيه عن الأجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح ، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار

يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار. يوم تخشع فيه الأبصار وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلى

الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم !! حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين ....."

"فَيَا لَشِدَّةِ يَوْمٍ تَذْهَلُ فِيهِ عُقُولُ الْأَنْبِيَاءِ وتنمحى علومهم من شدة الهيبة؛ إذ يقال لهم ما أجبتم؟ وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، وهم فى ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى"

أيها الناس: اعملوا لهذا اليوم وتقربوا إلى الله بالأعمال الصالحة وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم البر الكريم .

الدعاء

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وارضَ اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولاية المسلمين فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء .

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم عاجلاً غير آجل يا قوي يا عزيز.

اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى يا ذا الجلال والإكرام آمين آمين وأقم الصلاة .

آثار المعاصي والذنوب

إن الحمد لله؛ نحمدُه ونستعينُه ونستهديه ونستغفره ونتوبُ إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قضى بالخير والعزِّ لأهل الطاعة والإيمان، وبالذل والهوان لأهل الشر والعصيان، وأشهد أن نبينا محمداً عبدُه ورسولُه وحبيبُه وصفيُه وأمينُه على وحيه، بشر وأنذر، وبلَّغ وأسْدى ونصح، وجاهد ودعا، فلم يترك خيراً إلا دل أمته عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين ساروا على هديه والتزموا شريعته، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فحياكم الله جميعا في هذا اليوم الكريم المبارك وأسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنا في الآخرة مع النبي المصطفى في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: **«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»**(٦٦).

(٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٨)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ»**(٦٧).

وأما الداء الذي سوف نتحدث عنه اليوم فهو داء إن استمر أفسد دنيا العبد وآخرته إنه داء الذنوب والمعاصي

وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ وَدَاءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي، فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، دَارِ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى دَارِ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمَصَائِبِ؟

وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ صُورَتَهُ أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا، وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ، وَبُدِّلَ بِالْقُرْبِ بُعْدًا، وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً، وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا، وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلَظَّى، وَبِالْإِيمَانِ كُفْرًا، وَبِمُوَالَاةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ أَعْظَمَ عَدَاوَةٍ وَمُشَاقَّةٍ، وَبِلِبَاسِ الْإِيمَانِ لِبَاسَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، فَهَانَ عَلَى اللَّهِ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ غَايَةَ السُّقُوطِ، وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى فَأَهْوَاهُ، وَمَقَتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ فَأَرْدَاهُ، فَصَارَ قَوَّادًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ، رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ، فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَارْتِكَابِ نَهْيِكَ.

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّى عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رَأْسِ الْجِبَالِ؟ وَمَا الَّذِي سَلَّطَ الرِّيحَ الْعَقِيمَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ حَتَّى أَلْقَتْهُمْ مَوْتَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ، وَدَمَّرَتْ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ، حَتَّى صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟

---

(٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠٤)

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّى قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟

وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى قوم لوط حَتَّى سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ نَبِيحَ كِلَابِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ عَلَى أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ، وَلِإِخْوَانِهِمْ أَمْثَالُهَا، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ؟

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ نَقَلَتْ أَرْوَاحَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَالْأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ، وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرْقِ؟

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:٦-١٣]

وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ؟

وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا؟

وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ يس بِالصَّيْحَةِ حَتَّى خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ، وَسَبُوا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا؟

وَمَا الَّذِي سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ، مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَخَرَابِ الْبِلَادِ، وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ، وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **{لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}** [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ١٦٧].

إنه شؤم المعاصي والذنوب ! !

روى أَحْمَدُ في الزهد بسند صحيح عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي،

فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ: "وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ، مَا أَهْوَنُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ، بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ، تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى"(٦٨).

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: **«إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُنَاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: كَيْفَ يُصْنَعُ بِأُولَئِكَ؟ قَالَ: يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»**(٦٩).

وذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عن علَيٌّ رضي الله عنه أنه قال: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ، وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْهُمْ خَرَجَتِ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ.

---

(٦٨) أخرجه أحمد في الزهد (٧٦٣) حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ الْوَلِيدُ: وَحَدَّثَنِي ثَوْرٌ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ به .

قلت : وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات وقد صرح الوليد بن مسلم بالتحديث.

(٦٩) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥٢٧) (٢٦٥٩٦) وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢٦٨/٧، وقال: رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح

وقَالَ ابن مسعود رضي الله عنه: إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَلَاكِهَا.

ولما تَزَلْزَلَتْ الأرض بِالنَّاسِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ إِلَّا عَنْ شَيْءٍ أَحْدَثْتُمُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبَدًا .

وَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّمَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ إِذَا عُمِلَ فِيهَا بِالْمَعَاصِي فَتُرْعِدُ فَرَقًا مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا.

وعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي.

تعالوا أيها الإخوة الكرام لنتعرف على آثار المعاصي والذنوب، وأفضل من فصلها هو العالم الرباني ابن قيم الجوزية في كتابه الماتع **"الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"** والمسمى أيضا **"الداء والدواء"**

أولا: من آثار المعاصي والذنوب حِرْمَانُ الْعِلْمِ

فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

قال تعالى ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة:٢٨٢]

وقال ابن مسعود: إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم بالذنب الذي يعلمه.

وَلَمَّا جَلَسَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ يَدَيْ الإمام مَالِكٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقُّدِ ذَكَائِهِ، وَكَمَالِ فَهْمِهِ،

فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ نور ... وَنور اللَّهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي

ثانيا: من آثار المعاصي والذنوب حرمان الرزق

ففِي الْمُسْنَدِ بسند حسن من حديث ثوبان أن النبي قال: **"إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ"**، فكَمَا أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ فَتَرْكُ التَّقْوَى مَجْلَبَةٌ لِلْفَقْرِ، فَمَا اسْتُجْلِبَ رِزْقُ اللَّهِ بِمِثْلِ تَرْكِ الْمَعَاصِي.

قد يقول قائل ما لنا نرى الكفرة الملاحدة يتنعمون في ألوان المتاع ويفتح الله عليهم في جميع مجالات الحياة مع كفرهم.

والجواب أقول: ما يحدث لهم استدراج لهم من ربهم قال تعالى **﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** [المؤمنون:٥٥-٥٦]

وقال تعالى **﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾** [الفجر:١٥-١٦] نعم ليس الأمر كما تظنون ليس كل من وسع الله عليه رزقه فإنه يحبه، وليس كل من ضيق عليه رزقه فالله يبغضه

ولكن الأمر كما قال رسول الله فيما رواه أحمد في المسند بسند حسن من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ "** ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾** [الأنعام: ٤٤][(٧٠)]

---

(٧٠) حديث حسن: أخرجه أحمد في المسند (١٧٣١١) من طريق رِشْدِينُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَهْرِيُّ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، =

قال تعالى ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام:٤٤]

يا إلهي برغم نسيانهم فتح الله عليهم ولكن ماذا بعد هذا؟

حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

ثالثا: من آثار المعاصي والذنوب الذل والهوان

الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ وَلَا بُدَّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٠] أَيْ فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَقَالَ الإمام المبارك عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

= وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف، وباقي رجال الإسناد ثقات. وقد توبع: تابعه أبو الصلت الشامي كما عند الطبري في "التفسير" ١٩٥/٧ ، وحجاج بن سليمان الرعيني كما عند الدولابي في "الكنى" ٣٣٩/١ ، وأبو صالح عبد الله بن صالح المصري، كما عند الطبراني في الكبير(٩١٣) وفي "الأوسط" (٩٢٧٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٤١١/٢)، وفي "الشعب" (٤٢٢٠) ثلاثتهم عن حرملة بن عمران، به.

قال ابن عباس: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ وَالْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ.

أخي: المعصية ذل وهوان

انظر إلى الذل الذي نحياه، أصبحت الأمة تتسول على موائد الفكر الإنساني وتنتظر المعونة من هنا وهناك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! !

رابعا: من آثار المعاصي والذنوب أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَكَاثَرَتْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا، فَكَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: ١٤] ، قَالَ: هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يُعْمِيَ الْقَلْبَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَمَّا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُمْ وَمَعَاصِيهِمْ أَحَاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ.

وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَقُفْلًا وَخَتْمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ، فَإِذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ الْهُدَى وَالْبَصِيرَةِ انْعَكَسَ فَصَارَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ وَيَسُوقُهُ حَيْثُ أَرَادَ.

وفي صحيح مسلم من طريق أَبُي خَالِدٍ، يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ، عَنْ سَعْدِ ابْنِ طَارِقٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟

فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟

قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ

قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»**،

قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ،

قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ»

قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا» (٧١)

خامسا: من آثار المعاصي والذنوب أنها تنسي العبد نفسه

قالَ اللَّهُ: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [سُورَةُ الْحَشْرِ: ١٨ - ١٩] .

فَأَمَرَ بِتَقْوَاهُ وَنَهَى أَنْ يَتَشَبَّهَ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَنْ نَسِيَهُ بِتَرْكِ تَقْوَاهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَاقَبَ مَنْ تَرَكَ التَّقْوَى بِأَنْ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ، أَيْ أَنْسَاهُ مَصَالِحَهَا، وَمَا يُنْجِيهَا

(٧١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٤)

مِنْ عَذَابِهِ، وَمَا يُوجِبُ لَهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَكَمَالَ لَذَّتِهَا وَسُرُورِهَا وَنَعِيمِهَا، فَتَرَى الْعَاصِيَ مُهْمِلًا لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ مُضَيِّعًا لَهَا، قَدْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، قَدِ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَقَدْ فَرَّطَ فِي سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَاسْتَبْدَلَ بِهَا أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنْ لَذَّةٍ، وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نِسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيبَهَا مِنَ اللَّهِ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْغَبْنِ وَالْهَوَانِ وَأَبْخَسِ الثَّمَنِ، فَضَيَّعَ مَنْ لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِ مَنْ عَنْهُ كُلُّ الْغِنَى أَوْ مِنْهُ كُلُّ الْعِوَضِ.

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَ مِنْ عِوَضِ

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَوِّضُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا سِوَاهُ وَلَا يُعَوِّضُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَيُجِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُجِيرُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيَمْنَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَمْنَعُ مِنْهُ شَيْءٌ، كَيْفَ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟

وَكَيْفَ يَنْسَى ذِكْرَهُ وَيُضَيِّعُ أَمْرَهُ حَتَّى يُنْسِيَهُ نَفْسَهُ، فَيَخْسَرُهَا وَيَظْلِمُهَا أَعْظَمَ الظُّلْمِ؟

سادسا: من آثار المعاصي والذنوب ذهاب النعم وجلب النقم

فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ٣٠] .

وَقَالَ تَعَالَى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٥٣] .

فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَهُ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ بِأَسْبَابِ سُخْطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غَيَّرَ عَلَيْهِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

فَإِنْ غَيَّرَ الْمَعْصِيَةَ بِالطَّاعَةِ، غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بِالْعَافِيَةِ، وَالذُّلَّ بِالْعِزِّ.

وَقَالَ تَعَالَى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾** [سُورَةُ الرَّعْدِ: ١١] .

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ، عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَى مَا أُحِبُّ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أَكْرَهُ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يُحِبُّ إِلَى مَا يَكْرَهُ، وَلَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَى مَا أَكْرَهُ، فَيَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أُحِبُّ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ» .

وَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُزِيلُ النِّعَمْ

وَصنها بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَا ... دِ فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمْ

سابعا: من آثار المعاصي والذنوب

الضنك والضيق الذي تحياه البشرية برغم ما وصلت إليه في الجانب المادي والتكنولوجي ؛ لكن برغم كل هذا التقدم المبهر ما زالت البشرية تبحث عن السعادة، ولا سعادة لها إلا في اتباع منهج رب البرية .

واسمع إلى هذا الحديث الذي يجسد الواقع الذي نحياه

روى ابنُ ماجه والحاكمُ وصححه واللفظ له والبزارُ والطبرانيُ في الأوسط قال عبد الله بن عمر: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشِرَ عَشَرَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذٌ، وَحُذَيْفَةُ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَرَجُلٌ آخَرُ سَمَّاهُ، وَأَنَا، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: **أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ**، أَوْ قَالَ: **بِهِ، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ**، ثُمَّ سَكَتَ الْفَتَى، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **" يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: "لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلاَّ ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ، وَلا نَقَصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَإِذَا لَمْ يُحْكَمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"**(٧٢)

ثامنا: من آثار المعاصي والذنوب ذهاب البركة

فالمعاصي تَمْحَقُ بَرَكَةَ الْعُمُرِ، وَبَرَكَةَ الرِّزْقِ، وَبَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَبَرَكَةَ الْعَمَلِ، وَبَرَكَةَ الطَّاعَةِ.

(٧٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) وأخرجه الحاكم (٨٦٢٣) وقال :صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والبزار في مسنده (٦١٧٥) والطبراني في الأوسط (٤٦٧١)

وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا مُحِقَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٩٦] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا - لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾ [الْجِنِّ: ١٦ - ١٧] .

وَفِي الْحَدِيثِ: **"إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ"**(٧٣).

---

(٧٣) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ٢٨٣). ومن طريقه البغوي في شرح السنة (١٤/ رقم ٤١١١). والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) من طريق زبيد اليامي عمن أخبره عن عبد الله بن مسعود فذكره. وقد وقع فيه اختلاف، والحديث ضعيف الإسناد للإبهام في قوله (عمن أخبره).وقد جاء من حديث حذيفة ، أخرجه البزار في مسنده (٢٩١٤) قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٧١): "وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة ولم أجد من ترجمه". وورد معناه من حديث جابر، رواه الوليد بن مسلم وحجاج بن محمَّد وعبد المجيد بن أبي رواد ومحمد بن بكر، كلهم عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رفعه: "يا أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، ولا تستبطئوا الرزق، واتقوا الله، وأجملوا في الطلب، وخذوا ما حلّ، وذروا ما حُرم". أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) والقضاعي في مسنده (١١٥٢) وابن الجارود (٥٥٦) والحاكم (٢/ ٥ /٢١٣٥) وغيرهم.

ورواه عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن محمَّد بن المنكدر عن جابر فذكره. أخرجه ابن حبان (٣٢٣٩) والحاكم في مستدركه (٢/ ٤ – ٥ /٢١٣٤). وله شاهد من رواية المطلب ابن حنطب، =

فلَيْسَتْ سَعَةُ الرِّزْقِ وَالْعَمَلِ بِكَثْرَتِهِ، وَلَا طُولُ الْعُمُرِ بِكَثْرَةِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، وَلَكِنَّ سَعَةَ الرِّزْقِ وَطُولَ الْعُمُرِ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ.

فعُمْر الْعَبْدِ هُوَ مُدَّةُ حَيَاتِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ وَاشْتَغَلَ بِغَيْرِهِ، بَلْ حَيَاةُ الْبَهَائِمِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ.

فَالحياة الحقيقية هي حياة القَلْبِ وَالرُوحِ، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِهِ، وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهَا بِمَا تَعَوَّضَ مِمَّا فِي الدُّنْيَا، بَلْ لَيْسَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِوَضًا عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَفُوتُ الْعَبْدَ عِوَضٌ، وَإِذَا فَاتَهُ اللَّهُ لَمْ يُعَوِّضْ عَنْهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ.

وَكَيْفَ يُعَوَّضُ الْفَقِيرُ بِالذَّاتِ عَنِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ، وَالْعَاجِزُ بِالذَّاتِ عَنِ الْقَادِرِ بِالذَّاتِ، وَالْمَيِّتُ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ، وَمَنْ لَا وُجُودَ لَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ الْبَتَّةَ عَمَّنْ غِنَاهُ وَحَيَاتُهُ وَكَمَالُهُ وَوُجُودُهُ وَرَحْمَتُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ؟

وَكَيْفَ يُعَوَّضُ مَنْ لَا يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَمَّنْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟.

= قال الشيخ الألباني – رحمه الله– في الصحيحة حديث رقم (٢٨٦٦): وهو مرسل جيد الإسناد، والمطلب بن حنطب، نسب إلى جده الأعلى، فإنه المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب.. المخزومي، وقيل بإسقاط (المطلب) في نسبه، وقيل: هما اثنان كما في " التهذيب "، وهو تابعي ثقة، يرسل كثيرا.

وبالجملة فالحديث حسن على أقل الأحوال.

عباد الله: بالجملة أقول ما أخطر المعاصي والذنوب على الأفراد والجماعات !!

فعودوا إلى ربكم وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين له الحمد الحسن والثناء الجميل يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين

أما بعد:

عباد الله: وأخيرا: من آثار المعاصي والذنوب ، بل أخطرها وأعظمها سوء الخاتمة ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة

نعم يخشى على من أدمن المعاصي والذنوب أَنْ يَخُونَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ وَالِانْتِقَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ، كَمَا شَاهَدَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْمُحْتَضَرِينَ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ،

كيف يوفق من اتبع هواه واغفل قلبه عن ذكر مولاه وكان أمره فرطا ؟

كيف يوفق إلى النطق بكلمة التوحيد؟

أيها المسلم الكريم: لا يوفق إلى النطق بكلمة التوحيد إلا من عاش عليها.

قال البخاري في صحيحه بَابٌ: الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، وَمَا يُخَافُ مِنْهَا

وذكر قول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»**(٧٤)

قال ابن حجر: وَفِيهِ أن الِاعْتِبَار بالخاتمة

قَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ : هَذِهِ الَّتِي قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْحَالِ لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَاذَا يُخْتَمُ لَهُمْ .

والله كم شاهدنا في ساعات الاحتضار من عبر ولكن أين المعتبرون؟

صور من سوء الخاتمة

ذكر القرطبي في التذكرة ص ١٨٩: أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره، وكان بابه يشبه باب حمام فمرت به جارية لها منظر وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب.

وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها، فلما رأت نفسه معه في دار وليس بحمام علمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفي تلك الدار

وقالت له: يصلح معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا

فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها، وتركها محلولة على حالها ومضى، فأخذ ما يصلح لهما ورجع، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً، فهام رجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

---

(٧٤) أخرجه البخاري (٦٤٩٣)

يا رب قائلة يوماً قد لغبت[٧٥] أين الطريق إلى حمام منجاب

وفي ساعة الاحتضار قيل له يا فلان قل: لا إله إلا الله فجعل يقول:

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: آهْ آهْ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ وَيَقُولُ: تَاتِنَا تِنِنْتَا. حَتَّى قَضَى.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا يَنْفَعُنِي مَا تَقُولُ وَلَمْ أَدَعْ مَعْصِيَةً إِلَّا رَكِبْتُهَا؟ ثُمَّ قَضَى وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا يُغْنِي عَنِّي، وَمَا أَعْرِفُ أَنِّي صَلَّيْتُ لِلَّهِ صَلَاةً؟ ثُمَّ قَضَى وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: هُوَ كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ. وَقَضَى.

وذكر القرطبي في تذكرته ص ١٩٣: ويروى: أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له: ما شأنك ما تريد؟ فقال: أنت أريد.

قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي.

قالت: لا أجيبك إلى ريبة.

قال لها: أتزوجك.

قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك قال لها: أتنصر.

قالت: إن فعلت أفعل.

---

(٧٥) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي، بلفظ (رب قائلة يوما وقد تعبت)

فتنصر ليتزوجها، وأقام معها في الدار.

فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه ولا هو بها.

فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة.

الدعاء

اللهم أحسن ختامنا ، اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله ،

اللَّهُمَّ إنا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ المحْيَا وَالممَاتِ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِيننا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الموْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْوسنا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنا نعُوذُ بِكَ مِنْ عِلم لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يستجاب لها. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم دمر أعداء الدين، اللهم انصر عبادك الموحدين.

اللهم مَن أراد الإسلام والمسلمين بسوء فاشغله بنفسه، واجعل تدبيره تدميره، واجعل الدائرة عليه، واجعل كيده في نحره، وزلزل الأرض من تحت قدميه. اللهم لا ترفع له راية واجعله لمن خلفه آية يا قوي يا جبار.

اللهم برحمتك اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالثلج والماء والبرد.

اللهم ارحمنا برحمتك إذا ما صرنا إلى ما صاروا إليه، اللهم آنس وحشتنا في القبور، وآمن فزعنا يوم البعث والنشور.

اللهم إنا نسألك بأنَّا نشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، نسألك بكل اسم هو لك، ونسألك باسمك الأعظم الذي إذا سُئلت به أعطيتَ، وإذا دُعيت به أجبتَ، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، أن تعز الإسلام والمسلمين، وأن تدمر أعداء الدين، وأن تنصر المجاهدين، وأن تصلح من في صلاحه صلاح الإسلام والمسلمين، وأن تهلك من في هلاكه صلاح للإسلام والمسلمين. وصلِّ اللهم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

التوبة الصادقة

الحمد لله فاطر السموات والأرض غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

"التوبة الصادقة" هذا هو عنوان لقاءنا في هذا اليوم الكريم المبارك ، والله أسأله كما جمعنا في هذا اليوم على الطاعة والمحبة أن يجمعنا في الآخرة على طاعته ومحبته .

أحبتي في الله: ما أجمل التوبة إلي الله والعودة إلي الله جل وعلا وما أروع التائب يوم أن يتذكر أن له ربا قادرا يراه علي حاله من الذنوب والمعاصي فينتفض بدنه ويخشع قلبه ويندم ندما عظيما ويعزم علي التوبة والعودة والإنابة .

يـا ربّ عـفـوك لا تـأخـذْ بـزلـتـنـا ... وارحـمْ أيـا رب ذنـباً قـد جنيناه

كـم نطلـب اللهَ في ضُـرٍّ يحـلُّ بـنـا ... فـإن تـولـت بـلايـانـا نسـيـنـاه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا ... فإن رجعنا إلى الشاطئ عصيناه

ونـركـب الجـو في أمن وفـي دعة ... فـمـا سـقـطـنـا لأنَّ الـحـافـظَ اللهُ

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦]

أيها المسلمون: ما أجمل أن نعيش مع التوبة ومع العودة ومع الإنابة ومع الرجعة فكلنا مذنبون .....مخطئون.....مقصرون.....مفرطون لمنهج الله مضيعون ولولا ستره علينا لفضحنا في الدنيا قبل الآخرة فما أجمل التوبة فبادر أخي قبل أن يأتيك المنون، وهناك تتمني الرجعة، فلا رجوع

قال جل وعلا ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]

يا أخي! أقبل بقلبك إلى مولاك، وأعرض عن مواصلة غيك وهواك وواصل بقية عمرك بالطاعات، واصبر علي ترك الشهوات ، فالفرار أيها المكلف كل الفرار من مواصلة الجرائم والأوزار، فالصبر على الطاعة في الدنيا أيسر من الصبر على النار.

أمولاي إني عبدٌ ضعيفٌ أتيتك أرغبُ بما لديك
أتيتك أشكو مُصاب الذنوبِ وهل يشتكى الضرُّ إلا إليك
فمنّ بعفوك يا سيّدي فليس اعتمادي إلا عليك (٧٦)

(٧٦) بحر الدموع لابن الجوزي صـ ١١

أيها الحبيب: يا من أسرفت على نفسك بالمعاصي والذنوب باب التوبة مفتوح فهو رب العالمين الغني عن العالمين يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل كما في الصحيحين من حديث أبي موسي الأشعري .

الله ينادي عليك أيها العاصي من أمثالي، يا من زنيت، يا من سرقت، يا من عققت والديك يا من ضيعت الصلاة، الله ينادي عليك بنداء علوي رقيق عذب فيقول: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ** ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]

من أنا ومن أنت حتى ننسب عبيدا لله مع إسرافنا ومعاصينا وذنوبنا .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَعْوَةٌ لِجَمِيعِ الْعُصَاةِ مِنَ الْكَفَرَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. وَلَا يَصِحُّ حَمْلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يُغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ"(٧٧).

جاء في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن النسائي من حديث ابن عباس **" أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ**

(٧٧) تفسير ابن كثير (١٠٦/٧)

مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]

وَنَزَلَ **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾** [الزمر: ٥٣]"(٧٨)

قال ثوبان مولى رسول الله: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية **﴿قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا.....﴾**

وفي مسند أحمد من حديث عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدَّعِمُ عَلَى عَصًا لَهُ،

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟

قَالَ: **" أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ "**

قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ،

قَالَ: **" قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ "** (٧٩)

أيها الأخيار: هذه الأحاديث كلها دالة على أن الله يغفر جميع الذنوب مع التوبة فلا ينبغي لأحد أن يقنط أحدا من رحمة الله ، وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب التوبة مفتوح ورحمة الله واسعة .

---

(٧٨) صحيح البخاري (٤٨١٠) وصحيح مسلم (١٢٢)

(٧٩) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٤٣٢) قال حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ جَابِرٍ الْحُدَّانِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ وهذا إسناد ضعيف فيه مكحول- وهو الشامي- كثيرُ الإرسال، ولا يُعرف له سماعٌ من عمرو بن عَبَسة، وقد عنعن. وبقية رجاله ثقات غير نوح بن قيس- وهو ابن رباح الأزدي- فصدوق. أشعث بن جابر: هو أشعث بن عبد الله بن جابر، نُسب إلى جده. وأورده الهيثمي في "المجمع" ٣٢/١، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله موثقون، إلا أنه من رواية مكحول عن عمرو بن عبسة، فلا أدري أسمع منه أم لا.

وله شواهد يرتقي بها إلى الحسن انظر بعضها في تخريج مسند أحمد ط: الرسالة

قال جل وعلا ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة:١٠٤]

قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿**قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا.....**﴾

قد دعا إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح ابن الله، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، ومن زعم أن عزيرا ابن الله، ومن زعم بأن الله فقير، قال تعالى لهولاء ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٧٤] ، ثم دعا إلى التوبة من قال للناس أنا ربكم الأعلى .

قال ابن عباس: من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ولكن لا يقدر عبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه.

وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ [البروج:١٠]

قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الجود والكرم قتلوا أولياءه ويدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

شبهة والرد عليها

عباد الله: قد يقول إنسان بعد أن سمع هذا الكلام وهل يغفر الله لي بعدما أسرفت على نفسي بالمعاصي والذنوب والزلات وعصيت رب الأرض والسموات سنوات وسنوات هل يقبلني إن تبت إليه؟

أخي: لا تذهب مع الشيطان، فالشيطان يريد أن يبعدك عن طريق الهداية بإلقاء الوساوس فيقول لك: وهل يغفر الله لك مع هذه الذنوب؟

كيف يقبلك ؟ إلى آخر هذه الكلمات .

ولكن قل له: الله أرحم بعباده من الأم بولدها .

أيها الحبيب: هل عندك شك أن الله يقبلك ، فتعالى معي لنقلب صفحات التائبين .

قصة من قتل مائة نفس

ففي الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ**

فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ،

فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ،

فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ،

فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "،

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ"[٨٠]

---

(٨٠) أخرجه البخاري (٤٣٧٠) وأخرجه مسلم (٢٧٦٦)

وعند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ

فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا،

قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ،

فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ،

فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟

فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ "(٨١)

قال حافظ الدنيا ابن حجر -رحمه الله- "قَالَ الْخَطَّابِيُّ: قَدْ يُسْتَشْكَلُ هَذَا فَيُقَالُ:كَيْفَ يُغْفَرُ لَهُ وَهُوَ مُنْكِرٌ لِلْبَعْثِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرِ الْبَعْثَ وَإِنَّمَا جَهِلَ فَظَنَّ أَنَّهُ إِذَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ لَا يُعَادُ فَلَا يُعَذَّبُ وَقَدْ ظَهَرَ إِيمَانُهُ بِاعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .

قَالَ ابن قُتَيْبَةَ: قَدْ يَغْلَطُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ قَوْمٌ من الْمُسلمين فَلَا يكفرون بذلك ورده ابن الْجَوْزِيِّ وَقَالَ: جَحْدُهُ صِفَةَ الْقُدْرَةِ كُفْرٌ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا قِيلَ إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ لَئِنْ قَدَرَ الله على أَي ضيق وَهِي كَقَوْلِه وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَيْ ضُيِّقَ وَأَمَّا قَوْلُهُ لَعَلِّي أُضِلُّ اللَّهَ فَمَعْنَاهُ لَعَلِّي أَفُوتَهُ يُقَالُ ضَلَّ الشَّيْءُ إِذَا فَاتَ وَذَهَبَ وَهُوَ كَقَوْلِه لَا يضل رَبِّي وَلَا ينسى وَلَعَلَّ هَذَا الرَّجُلُ قَالَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ جَزَعِهِ وَخَوْفِهِ كَمَا غَلِطَ ذَلِكَ الْآخَرُ فَقَالَ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَوْ يَكُونُ قَوْلُهُ لَئِنْ قَدَّرَ عَلَيَّ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ أَيْ قَدَّرَ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي لَيُعَذِّبَنِي أَوْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُثْبِتًا لِلصَّانِعِ وَكَانَ فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ فَلَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِطُ الْإِيمَانِ وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي حَالِ دَهْشَتِهِ وَغَلَبَةِ الْخَوْفِ عَلَيْهِ حَتَّى ذُهِبَ بِعَقْلِهِ

(٨١) أخرجه البخاري (٣٤٨١) وأخرجه مسلم (٢٧٥٦)

لِمَا يَقُولُ وَلَمْ يَقُلْهُ قَاصِدًا لِحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ بَلْ فِي حَالَةٍ كَانَ فِيهَا كَالْغَافِلِ وَالذَّاهِلِ وَالنَّاسِي الَّذِي لَا يُؤَاخَذُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ وَأَبْعَدُ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ كَانَ فِي شَرْعِهِمْ جَوَازُ الْمَغْفِرَةِ لِلْكَافِرِ"(٨٢).

وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: **" أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "**(٨٣)

وهذا الحديث لا يجرؤنا على معصية الله ولكن يرجينا في رحمة الله

قال النووي - رحمه الله - :" اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ مَعْنَاهُ مَا دُمْتَ تُذْنِبُ ثُمَّ تَتُوبُ غَفَرْتُ لَكَ"(٨٤)

صورة وعبرة

إنها قصة توبة عابد من العباد وزاهد من الزاهد، لن تقلب صفحات التاريخ إلا وتجد ترجمة هذا الرجل إنه مالك بن دينار، واسمع إلى قصة توبته وهو يحكيها لنا بنفسه.

---

(٨٢) فتح الباري (٥٣٣/٦)

(٨٣) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨)

(٨٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٥/١٧)

قال مالكُ بنُ دينار: " كنت فِي أول أَمْرِي مكباً على اللَّهْو وَشرب الْخمر فاشتريت جَارِيَة وتسريت بهَا وَولدت لي بِنْتا فأحببتها حباً شَدِيدا إِلَى أَن دبت ومشت فَكنت إِذا جَلَست لشرب الْخمر جَاءَت وجذبتني عَلَيْهِ فأهرقته بَين يَدي فَلَمَّا بلغت من الْعُمر سنتَيْن مَاتَت فأكمدني حزنها ،

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ لَيْلَة النّصْف من شعْبَان بت وَأَنا ثمل من الْخمر فَرَأَيْت فِي النوم كَأَن الْقِيَامَة قد قَامَت وَخرجت من قَبْرِي وَإِذا بتنين قد تَبِعنِي يُرِيد أكلي والتنين الْحَيَّة الْعَظِيمَة

قَالَ: فهربت مِنْهُ فَتَبِعَنِي وَصَارَ كلما أسرعت يهرع خَلْفي وَأَنا خَائِف مِنْهُ فمررت فِي طريقي على شيخ نقي الثِّيَاب ضَعِيف

فَقلت: يَا شيخ بِاللَّه أجرني من هَذَا التنين الَّذِي يُرِيد أكلي وإهلاكي

فَقَالَ: يَا وَلَدي أَنا شيخ كَبِير وَهَذَا أقوى مني وَلَا طَاقَة لي بِهِ وَلَكِن مر وأسرع فَلَعَلَّ الله أَن ينجيك مِنْهُ

قَالَ: فأسرعت فِي الْهَرَب وَهُوَ ورائي فَأَشْرَفت على طَبَقَات النَّار وَهِي تَفُور فكدت أَن أهوي فِيهَا وَإِذا قَائِل يَقُول لست من أَهلِي فَرَجَعت هَارِبا والتنين فِي أثري فَأَشْرَفت على جبل مستنير وَفِيه طاقات وَعَلَيْهَا أَبْوَاب وستور وَإِذا بقائل يَقُول أدركوا هَذَا البائس قبل أَن يُدْرِكهُ عدوه فتحت الْأَبْوَاب وَرفعت الستور وأشرقت عَليّ مِنْهَا أَطْفَال بِوُجُوه كالأقمار وَإِذا ابْنَتي مَعَهم فَلَمَّا رأتني نزلت إِلَى كفة من نور وَضربت بِيَدِهَا الْيُمْنَى إِلَى التنين فولى هَارِبا وَجَلَست فِي حجري وَقَالَت يَا أَبَت **﴿ألم يَأن للَّذين آمنُوا أَن تخشع قُلُوبهم لذكر الله وَمَا نزل من الْحق﴾** [الحديد:١٦]

فَقلت: يَا بنية وَأَنْتُم تعرفُون الْقُرْآن

قَالَت: نَحن أعرف بِهِ مِنْكُم

قلت: يَا بنية مَا تَصْنَعُونَ هَهُنَا؟

قَالَت: نَحن من مَاتَ من أَطْفَال الْمُسلمين أسكنا هَهُنَا إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ننتظركم تقدمون علينا

فَقلت: يَا بنية مَا هَذَا التنين الَّذِي يطاردني وَيُرِيد إهلاكي؟

قَالَت: يَا أَبَت ذَلِك عَمَلك السوء قويته فَأَرَادَ إهلاكك فَقلت وَمن ذَلِك الشَّيْخ الضَّعِيف الَّذِي رَأَيْته

قَالَت: ذَلِك عَمَلك الصَّالح أضعفته حَتَّى لم يكن لَهُ طَاقَة بعملك السوء فتب إِلَى الله وَلَا تكن من الهالكين

قَالَ: ثمَّ ارْتَفَعت عني واستيقظت فتبت إِلَى الله من سَاعَتِي".[٨٥]

أيها المسلمون: هذه الساعة هي ساعة ميلاده الثاني

قال ابن تيمية: "المؤمن يولد مرتين، والكافر يموت مرتين "، فأما ميلادك الأول: فيوم ولدتك أمك، يوم سقط رأسك على هذه الأرض: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ [الإنسان:١ - ٣].

ولدتك أمك يابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سرورا

فاعمل لنفسك أن تكونَ إذا بكوا في يوم موتِك ضاحِكاً مسرورا

وإن الميلاد الثاني يوم أن يعرف ربه ويلتزم منهج الله، نعم هذا هو الميلاد الحق وما سواه ميت .

﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ [الأنعام:١٢٢]

---

(٨٥) التوابين لابن قدامة (ص١٣٤-١٣٦) والكبائر للذهبي (ص١٩٤)

واختم بهذا الحديث الذي هو بشرى لكل مسلم

روى الترمذي بسند حسن من حديث أنس قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً "**(٨٦)

اللهم أحينا بطاعتك، وتب علينا يا تواب واغفر لنا يا غفور، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله حق حمده ، ونسأله المزيد من فضله،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أما بعد:

عبد الله: أيها العاصي أيها الغافل ، إذا تبت إلى الله فرح الله بتوبتك وهو الغني عنك بل هو الغني عن العالمين

---

(٨٦) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الجَوْهَرِيُّ البَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ فَائِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ المُزَنِيَّ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،به ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

قلت : فيه كثير بن فائد ذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي في الكاشف : وثق ، وقال الحافظ في "التقريب": مقبول.

روى مسلم من حديث أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"**(٨٧)

وعند البخاري من حديث عمر بن الخطاب قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»

قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ،

فَقَالَ: **«لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»**(٨٨)

ولذا كان بعض السلف يقول: اللهم إنك تعلم أن أمي أرحم الناس بي وأنت أرحم الراحمين وأمي لا ترضى لي أن تحرقني بالنار أتحرقني بالنار يا أرحم الراحمين.

ولكن اعلم يا عبد الله أن للتوبة شروطاً :

قال النووي - رحمه الله - قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لاَ تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ، فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أحَدُها: أنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

---

(٨٧)أخرجه مسلم (٢٧٤٧)

(٨٨) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) وأخرجه مسلم (٢٧٥٤)

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبَداً. فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.

وإِنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعلقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأنْ يَبْرَأ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإِنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإِنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ، وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ، والسُّنَّةِ، وإِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ:

قَالَ الله تَعَالَى: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: ٣١] وَقالَ تَعَالَى: **﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** [هود: ٣] وَقالَ تَعَالَى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾** [التحريم: ٨}

الدعاء

اللهم تب علينا يا تواب واغفر لنا يا غفور

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واحمِ حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يا رب العالمين!

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد، يُعَز فيه أهل طاعتك، ويُذَل فيه أهل معصيتك، ويُؤمَر فيه بالمعروف، ويُنهَى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء!

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، اللهم أصلح ذات بينهم واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أقر أعيننا بصلاح أحوال المسلمين في كل مكان، يا رب العالمين!

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا بين معاصيك،اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، ولا تجعل إلى النار مصيرنا، واجعل الجنة هي دارنا. اللهم استعملنا في طاعتك، واجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين، اللهم لا تدع لنا في عشيتنا هذه ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا مبتلىً إلا عافيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا مجاهداً إلا أيدته ونصرته، ولا عدواً إلا كبته وخذلته وكفيته، ولا أسيراً إلا أطلقته، ولا جاهلاً إلا علمته، ولا فقيراً إلا أغنيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضاً وفيها لنا صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأوهن كيد الكافرين، وانصرنا عليهم أجمعين، اللهم أظهر دينك وكتابك على الدين كله، ولو كره المشركون، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وتقام فيه حدودك يا سميع الدعاء.

اللهم حقق رجاءنا واستجب دعائنا، وأصلح أحوالنا وأحوال المسلمين أجمعين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل القبر خير بيت نعمره، اللهم نور قلوبنا وقبورنا ووجوهنا يا أرحم الراحمين، اللهم اغفر لنا في ساعتنا هذه أجمعين، وأهد المسيئين منا إلى المحسنين يا أرحم الراحمين.

اللهم هؤلاء عبادك وإماؤك قد اجتمعوا في بيت من بيوتك يرفعون إليك أيدي الضراعة فلا تردهم خائبين، ولا تجعلهم عن رحمتك من المطرودين، وأهد المسيئين منهم للمحسنين يا أرحم الراحمين.

اللهم حقق رجاءنا واستجب دعاءنا، وأصلح أولادنا، وحقق مرادنا، وأصلح مرادنا يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك من كل خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون، ونعوذ بك من كل شر استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون، وأنت المستعان، عليك توكلنا وإليك المصير.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الحياء من الله

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأرض سلطانه وفي السماء ملكه وفي البحر عظمته، وفي النار سطوته ، وفي الجنة رحمته ، وفي كل شئ آيته وحكمته.

فيا عجبا كيف يُعصى الإلهُ أم كيف يجحده الجاحدُ

وله في كل شئ آية تدل على أنه الواحدُ

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ذاته ، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، كتب الفناء على خلقه وكتب البقاء على نفسه وسمى نفسَه الحي الباقي الذي لا يموت.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وقائدنا ومعلمنا محمداً رسول الله إمام النبيين والمرسلين ، وقائد الغر المحجليين وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين وصاحب المقام المحمود، وصاحب الحوض المورود.

اللهم صل وسلم وزد وبارك على مسك الختام للنبيين وعلى آله وصحبه أجمعيين .

أما بعد:

فحياكم الله جميعا أيها الفضلاء، والله أسأله كما جمعنا في الدنيا على طاعته أن يجمعنا دائما وأبدا في الدنيا على محبته وطاعته ، وأن يجمعنا في الآخرة مع المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شئ قدير.

الحياء من الله

هذا هو عنوان لقاءنا في هذا اليوم الكريم المبارك والله أسأله أن يستخرج منا اليوم ما يرضيه عنا .

أحبتي في الله: نحن اليوم مع منزلة عظيمة القدر جليلة الشأن، إنها صمام أمان لسائر الأخلاق، وسياج واق يحمي القيم، ويحرس الأخلاق، إنها أصل كل خير وطريق كل بر إنها منزلة الأوابين، إنها منزلة الحياء من رب العالمين .

أحبتي في الله: ما هو الحياء، وما أنواعه، وما فضله، وما حقه وكيف نحققه؟

عباد الله: الحياء خلق فاضل يبعث العبد على فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويجعله يأتمر بأمر الله وينتهي بنهيه، ويقف عند حده، فما وجدت معصية إلا وسببها قلة حياء العبد من ربه .

فتعالوا بنا أيها الأحبة لنتعرف أولا على معناه:

معنى الحياء: الْحَيَاءُ مأخوذ مِنَ الْحَيَاةِ. وَمِنْهُ الْحَيَا لِلْمَطَرِ، لَكِنَّهُ مَقْصُورٌ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ.

وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ.

قَالَ الْجُنَيْدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى الْحَيَاءُ.

وَحَقِيقَتُهُ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشِّقْوَةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَطُولُ الْأَمَلِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ مُطِيعًا اسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَهُوَ مُذْنِبٌ.

وقال النووي - رحمه الله - : قال العلماء: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق .

وقيل هو تغير وانكسار يعتري الإنسان عند فعل ما يعاب به.

أنواع الحياء:

اعلم أخي أن الحياء نوعان:

الأول: ما كان خلقا وجبلة في الإنسان غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله للعبد ويجبله عليها، ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ"**(٨٩)

نعم فهو يكف عن العبدَ عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

وما أعظم أن يمن الله على العبد بخلق الحياء ! !

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي ومسند أحمد أن النبي قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: **"إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ"**(٩٠)

وفي سنن ابن ماجه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِلْأَشَجِّ الْعَصَرِيِّ: **"إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ"**(٩١)

---

(٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٧٧) وأخرجه مسلم في صحيحه (٣٧)

(٩٠) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧، ١٨) وسنن أبي داود (٥٢٢٥) وسنن الترمذي (٢٠١١) وأخرجه أحمد (١١١٧٥) بسند صحيح.

(٩١) سنن ابن ماجه (٤١٨٨)

وفي صحيح الأدب المفرد للبخاري أن النبي قال **"إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ"**

قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: **"الْحِلْمُ، وَالْحَيَاءُ"**،

قلت: قديماً أَوْ حَدِيثًا؟

قَالَ: **"قَدِيمًا"**.

قلتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خلقين أحبهما الله(٩٢).

ولذا قال بعض السلف: رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة.

وقال بعضهم: تركت الذنوب من ربي أربعين سنة فأدركني الورع.

النوع الثاني: وهو ما كان مكتسبا من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده وإطلاعه عليه وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور فهذا من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان .

قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١]

أي مطلع عليكم يراكم على حالتكم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**﴾ [العلق: ١٤]

وقال جل وعلا: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [المجادلة:٧]

وصدق من قال:

---

(٩٢) الأدب المفرد للبخاري (٥٨٤) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٥٥)

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩] .

ومما يحكى أن رجلا خلى بنفسه بين الغابات وقد غطته الأشجار وغطه ظلام الليل وهَمَّ بفعل المعصية فسمع مناديا ينادي ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩] .

- وهذا أعرابي في الصحراء دعا أعرابية إلى فعل الفاحشة،

فقالت له المرأة التقية؟ هل نام الناس في الخيام ؟

وفي وقت الليل بعد أن نام الجميع وهجع الجميع، قال لها أبشري لقد نام الجميع ولا يرانا إلا الكواكب ، فقالت له المرأة وأين مكوكبها؟

لسان حالها يقول أين الله ؟ ! !

فضل الحياء

وَفِي الصَّحِيحِين مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِرَجُلٍ - وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ - فَقَالَ: **دَعْهُ. فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ**" (٩٣)

وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَنَّهُ قَالَ: **"الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً - فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"**(٩٤) .

---

(٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤) ومسلم في صحيحه (٣٦)

(٩٤) البخاري في صحيحه (٩) ومسلم في صحيحه (٣٥)

البضع: العدد من ثلاثة إلى عشرة.

الشعبة: الخصلة أو القطعة.

وَفِي الصَّحِيحِ من حديث أبي مسعود البدري عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"**(٩٥).

وَفِي هَذَا الحديث قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَمْرُ تَهْدِيدٍ. وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ، أَيْ مَنْ لَمْ يَسْتَحِ صَنَعَ مَا شَاءَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ أَمْرُ إِبَاحَةٍ. أَيِ انْظُرْ إِلَى الْفِعْلِ الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَهُ. فَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُسْتَحْيَا مَنْهُ فَافْعَلْهُ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ من أهل العلم وهو الذي رجحه ابن القيم في المدارج.

حق الحياء

جاء في سنن التِّرْمِذِيِّ مَرْفُوعًا وفي مسند أحمد ومستدرك الحاكم بإسناد صححه الحاكم ووافقه الذهبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: لَيْسَ ذَلِكُمْ، وَلَكِنَّ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى. وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى. وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"**(٩٦).

---

(٩٥) البخاري في صحيحه (٣٤٨٣، ٣٤٨٤)

(٩٦) الترمذي في سننه (٢٤٥٨) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ"، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٦٧١)، وأبو يعلى في مسنده (٥٠٤٧) ، والحاكم في مستدركه وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

وفي إسناده "الصباح بن محمد" وهو ضعيف، وحسن إسناد هذا الحديث النووي في خلاصة الأحكام (٨٩٤/٢)

،

هذا الحديث ما أروعه ! !

قال بعض العلماء: "يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث، بحيث يصير نُصْب عينيه والمريض أولى"

وهو يبين لنا كيف يستحي العبد من ربه.

أولا: أن يحفظ الرأس وما وعى.

وحفظ الرأس داخل فيه حفظ اللسان والعين والأذن. وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظُ السَّمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظُ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عَنِ الإصرار على محرم. قال الله - عز وجل -: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾ [البقرة:٢٣٥]

وقد جمع الله ذلك كُلَّه في قوله: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦].

ويتضمن أيضاً حفظُ البطنِ من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب.

ومِنْ أعظم ما يجبُ حفظُه من نواهي الله - عز وجل -: اللسانُ والفرجُ، وفي حديث أبي هريرة، عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، قال: **"مَنْ حَفِظَ ما بَينَ لَحْييه، وما بَينَ رِجليهِ، دَخَلَ الجنة"** خرَّجه الحاكم (٩٧)

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي موسى، عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، قال: **"مَنْ حَفِظ ما بينَ فَقْمَيهِ وفرجه، دخل الجنة"**(٩٨).

قال السندي: قوله: ما بين فَقْمَيْه؛ ضبط بفتح فاء، وسكون قاف، أي: لحييه، يريد الفم عن التكلم بما لا ينبغي، وعن أكل ما لا ينبغي.

وقد ضبط الفقم بضم الفاء أيضاً.

---

(٩٧) أخرجه الحاكم في مستدركه (٨٠٥٨) وصححه ووافقه الذهبي

(٩٨) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٥٦٠) وقال محققو طبعة الرسالة: صحيح لغيره

عبد الله: لسانك لا تنطق به إلا الحق وافطمه عن الغيبة والنميمة والوقوع في أعرا ض الناس

ففي صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"**(٩٩)

وفي رواية مسلم **"يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ"**(١٠٠)

وفي رواية الترمذي بسند حسن **"يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ"**(١٠١)

فالنجاة النجاة في حفظ اللسان إلا من خير كما في وصية النبي لعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟

قَالَ: **"امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ"** (١٠٢)

- حفظ العين

فاحفظ أخي عينك من النظر إلى الحرام، احفظها من النظر إلى عورات النساء.

- الأذن احفظها من سماع مزمار الشيطان واسمع بها كلام الرحمن وسنة سيد الأنام وسماع كلام أهل العلم.

---

(٩٩) البخاري (٦٤٧٨)

(١٠٠) مسلم (٢٩٨٨)

(١٠١) الترمذي (٢٣١٤) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه

(١٠٢) الترمذي (٢٤٠٦) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ

ثانيا: حفظ البطن وما حوي:

والمراد بحفظ البطن أن يفطمها الإنسان عن أكل الحرام وأن يتحرى أكل الحلال الطيب .

ويدخل في ذلك حفظ الفرج

فقد أمر الله - عز وجل - بحفظ الفروج، ومدحَ الحافظين لها، فقال: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ [النور:٣٠] ، وقال: ﴿**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:٣٥]،

وقال: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ **إلى قوله:** ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون:١-٦].

وقال أبو إدريس الخولاني: أوَّلُ ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض: حفظُ فرجه، وقال: لا تضعه إلا في حلال.

ثالثا: أن يذكر الموت والبلى:

فإن تذكر الإنسان أنه ميت مهما خلد في الدنيا استحيا من ربه جل وعلا أن يراه على معصية ، ماذا أنت قائل لربك غداً؟

إذا ما قال لك عبدي أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب عن خلقي وبالعصيان تأتيني

فما قولي له لما يعاتبني فيقصيني

وكان الربيع بن خثيم يقول: "لو تركت ذكر الموت لحظة لفسد قلبي"

كيف لا يستحي الإنسانُ من ربه وهو يعلم أنه ملاقيه ويسأله عن القليل والكثير والعظيم والحقير والفتيل والقطمير وهو الملك القدير الذي لا تخفى عليه خافية لا في أرضه ولا سمائه.

قال تعالى ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة:٧- ٨]

إنه الموت الذي لا يحول بينك وبينه مال ولا ولد ولا قصور ولا دور فإذا جاءك الموت فهناك شخصان:

الشخص الأول: سعيد مبشر برضوان الله ونعيمه وتقول له الملائكة كما في سنن ابن ماجه ومسند أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا،**

قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا،

فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ،

فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"

الشخص الثاني: وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ،

قَالَ: **اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ، وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا،**

فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟

فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ " (١٠٣)

وهذا الصنف يتمنى الرجعة لكن لا رجوع

قال تعالى **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون:٩٩-١٠٠]

فلا يظن الإنسان أن الأمر مقصور على الموت فحسب، والله لو كان بعد الدنيا موت فقط لكان الأمر هينا ميسورا .

وصدق من قال:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموتُ راحةَ كلِّ حي

ولكن إذا متنـا بُعثنـا ونسألُ بعدَه عن كلِّ شئ

والله من علم أنه ميت استحيا من الله أن يراه على معصية، ومن علم أنه سوف يحاسب فليعد للسؤال جوابا ، ومن علم أن المصير إما إلى جنة أو نار فليبادر بطاعة الله .

رابعا: ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا

---

(١٠٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢٦٢) ومسند أحمد (٨٧٦٩) كلاهما من طريق ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

أخي : اعلم بأن الدنيا دار ممر والآخرة هي دار المقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تفضحوا أستاركم عند من يعلم أسراركم.

وقد ضرب الله لها في القرآن مثلا ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** ﴾ [الكهف:٤٥]

فمغبون من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية ، وليس معنى ذلك أن يعيش الإنسان في الدنيا معيشة أهل الدروشة دون عمل ودون كفاح ، فليعلم هذا الصنف أن السماء لا تمطر ذهبا ، ولكن معنى كلامي أن لا تتعلق القلوب بالدنيا .

فالعاقل اللبيب هو الذي جعل الدنيا مزرعة الآخرة.

واختم بهذه الكلمة الرائعة للإمام علي -رضي الله عنه- حيث قال "الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوَّد فيها، مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومُصلَّى ملائكته، ومُتَّجر أوليائه، اكتسَبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمُّ الدنيا وقد آذنَت في فراقها، ونادَت بعيبها، ونعَت نفسها وأهلها، فمثَّلَت ببلائها البلاء، وشوَّقَت بسرورها السرور، فذمَّها قومٌ عند الندامة، وحمِدها آخرون فصدقوا، وذكَّرتهم فذكروا" (١٠٤)

---

(١٠٤) أثر ضعيف: أخرجه الدينوري في المجالسة برقم (١٢١١) قال: نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، نَا الْفَضْلُ بْنُ مُوَفَّقٍ نَا السَّرِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ؛ قلت: وفي إسناده الفضل بن الموفق، قال أبو حاتم: ضعيف الحديث كان شيخا صالحا قرابة لابن عيينة، وكان يروي أحاديث موضوعة ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر في لتقريب : فيه ضعف

والسؤال الآن كيف نحقق الحياء، نرجئ الإجابة على هذا السؤال بعد جلسة الاستراحة، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

كيف نحقق الحياء؟

أيها الأحبة: لو كانت الأخلاق صفاتِ لازمة تُخلق في الإنسان ويطبع عليها، فلا يمكنه تغييرها وتبديلها؛ كسائر صفاته الجسدية من طول وقصر ولون، لما أمر الشارع التخلق بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن القبيحة، فلو لم يكن ذلك ممكنا مقدورا للإنسان لما ورد به الشرع؛ لإنه "لا تكليف إلا بمقدور"

وإليك أيها الحبيب بعض الوسائل التي تعين على اكتساب خلق الحياء وترسيخه:

أولا: أن تسأل الله عز وجل أن يرزقك الحياء منه فقد كان النبي يسأل ربه أن يرزقه الخلق الحسن جاء في صحيح مسلم انه كان يقول في دعاء الاستفتاح **"اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ"**(١٠٥)

(١٠٥) أخرجه مسلم (٧٧١)

ثانيا: أن يتذكر آلاء الله جل وعلا ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فنحن نطعم من خيره، ونتنفس في جوه، ونعيش على أرضه، ونستظل بسمائه، والإنسان بإزاء النعمة الصغيرة من مثله يخزى أن يقدم إلى صاحبها إساءة، فكيف لا يوجل الناس من الإساءة إلى ربهم ، الذي تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد وإلى ما بعد ذلك من خلود طويل .

إن حق الله على عباده عظيم، ولو قدروه حق قدره لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم ولباعدوا عن السيئات خجلا في مقابلة الخير المحض بالجحود والخسة .

ثالثا: أن يتعرف على الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وأفضل منهج للتعريف بالله هو القرآن الكريم .

وأن تتعرف على أسمائه وصفاته وآثارها وذلك بقراءة كتاب في شرح الأسماء الحسنى والصفات العلى، وما أكثر الكتب التي ألفت في هذا الموضوع العظيم.

رابعا: أن تعلم أن الحياء صفة من صفات الله، فالله حيى كريم

خرج أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند صحيح من حديث سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ"** (١٠٦)

قال المباركفوري في "تحفة الأحوذي": قوله إن الله حي فَعِيلٌ مِنَ الْحَيَاءِ أَيْ كَثِيرُ الْحَيَاءِ وَوَصْفُهُ تَعَالَى بِالْحَيَاءِ يُحْمَلُ عَلَى مَا يَلِيقُ لَهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نُكَيِّفُهَا.

---

(١٠٦) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٥٥٦) وقال: هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٣٨٦٥)

خامسا: أن تعلم أن الحياء صفة من صفات النبي الكريم

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ"**(١٠٧)

ألا تحب أيها المسلم الكريم أن تتصف بصفة من صفات النبي العظيم فهو القدوة والأسوة.

الدعاء

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر.

وارضَ اللهم عن الأئمة الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعنا معهم بمنك وكرمك.

اللهم حسن أخلاقنا، وابسط أرزاقنا، اللهم خلقنا بأخلاق نبيك الكريم.

اللهم ارزقنا الحياء منك، اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا.

اللهم استرنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، ولا تخزنا يوم العرض.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واحم حوزة الدين يا رب العالمين.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين!

---

(١٠٧) أخرجه البخاري (٣٥٦٢) ومسلم (٢٣٢٠)

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم متعنا بلذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

خطبة عيد الفطر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، شهادةَ مُعْتَرِفٍ بِالعَجْزِ والتَّقْصِيرِ، وَمُعْتَرِفٍ من بَحْرِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ ما يُكْتَفَى به المسير،

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، وَصفِيُّهُ وَنَجِيُّهُ، سَيدُ الخَلْقِ، والنبيّ الحَق، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

اللهُمَّ صَل وَبَارِكْ وَتَرَحَّمْ على عبدك ونبيك ورسولك النَّبِيِّ الأُمَيِّ، سَيدِ المرسلينَ، وَإِمَامِ المتقينَ، وخاتمِ النبيينَ، إِمَامِ الخَيْرِ، وَقَائِدِ الخَيْرِ، ورسولِ الرَّحْمَةِ، وعلى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ، وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وآلِهِ، وأصهارِهِ وأنصارِهِ وأتباعِهِ وأشياعِهِ وَمُحِبِّيهِ، كما صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وعلى آل إبراهيمَ في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر يرفع بالطاعة أقواما ويضع بالمعصية آخرين ! !

الله أكبر يثيب الصائمين ويعاقب المفطرين ! !

الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة والهوان والصغار للكافرين والعصاة الفاجرين ! !

الله أكبر ما صامت الأمة المحمدية شهر رمضان مخبيتين وصابرين !

الله أكبر ما قرأوا القرآن وباتوا لربهم سجدا وقياما ساهرين ! !

الله أكبر ما ازدحمت بهم المساجد مصلين وذاكرين ! !

الله أكبر ما خرجوا يوم العيد مسرورين ! !

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد

أما بعد:

فحياكم الله جميعا أيها الأخوة الأخيار، وحيا الله الأخوات الطاهرات ، والله أسأله كما جمعنا في هذا اليوم الكريم المبارك يوم العيد أن يجمعنا دائما وأبدا على طاعته، وأن يجمعنا في الآخرة مع النبي في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أحزان قلبي لا تزولُ حتى أبشرَ بالقبولِ

وأرى الكتابَ باليمينِ وتقر عيني بالرسولِ

أحبتي في الله: جئت إليكم اليوم مبشرا ومنذرا، جئت لأقول لكم أيها الصائمون القائمون العابدون الراكعون الساجدون هنيئا لكم ، هنيئا لكم .

أهنئكم بمغفرة الله لكم يا من صمتم ثلاثين يوما وقمتم ثلاثين يوما، اليوم يوم المكافأة، ومكافأة الله وجائزة الله لا تشبه جوائز الملوك والأمراء.

جائزة الله أنه ستر لكم العيوب وغفر لكم الذنوب .

فمن صام وقام له البشرى من فم النبوة الطاهر

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** متفق عليه

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** متفق عليه

وأعظم من ذلك الجائزة الكبرى في الآخرة وهي الجنة

ففي الصحيحين من حديث سَهْلٍ بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"** (١٠٨)

أيها الناس : جئت اليوم لأقولَ لكم عظموا الله ، وحدوا الله ، مجدوا الله ، اقدروا الله حق قدره ، فالله أكبر من كل شئ وهو الذي له العظمة جل في علاه، عرفنا بنفسه فقال ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة :٢٥٥]

وعرفنا بنفسه فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ**

(١٠٨) أخرجه البخاري (١٨٩٦) وأخرجه مسلم (١١٥٢)

يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٥- ٩٨]

ومن عظمة الله جل وعلا أنه خلق السموات سبعا ورفعها بلا عمد سبحانه ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [غافر :٥٧]

وقال تعالى ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾** [الرعد:٢]

سبحانه تنزه عن الأضداد والأنداد وعن النظراء والأشباه، سبحان من خضعت له الرقاب، وذلت له الأعناق ، وسجدت له الجباه، وهتفت الألسن بذكره .

ومن عظمة الله أن كل ما في الكون يسبح بحمده، قال تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ [الإسراء:٤٤]

وكل ما في الكون يسجد له إلا العصاة من الإنس والجان، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾** [الحج: ١٨]

ومن عظمة الله أن كرسيه وسع السموات والأرض وأنه مستو على العرش يسمع ويرى ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [طه:٥]

استوى على العرش كما أراد وعلى الوجه الذي أراد إذ العرش لا يحمله والكرسي لا يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي وعظمته ، الكل محمول بلطف قدرته.

ومن عظمته جل جلاله أنه يسمع ويرى لا تخفى عليه خافية ، يسمع دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ! !

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة:٧]

ومن أراد أن يتعرف على عظمة الله فلينظر إلى هذا الكون المشحون بالأسرار والعجائب .

لله في الآفاق آيات لعل ... أقلها هو ما إليه هداكا
ولعل ما في النفس من آياته ... عجب عجاب لو ترى عيناكا
الكون مشحون بأسرار إذا ... حاولْتَ تفسيراً لها أعياكا
قل للطبيب تخطَّفته يد الردى ... من يا طبيب بطبِّه أرْدَاكا
قل للمريض نجا وعُوفيَ بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاكا
قل للصحيح يموت لا من علة ... من بالمنايا يا صحيح دهاكا
قل للبصير وكان يحذر حفرة ... فهَوَى بها من ذا الذي أهواكا
بل سائل الأعمى خَطَا بين الزحا ... م بلا اصطدام من يقود خطاكا
قل للجنين يعيش معزولاً بلا ... راعٍ ومرعى ما الذي يرعاكا
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء ... لدى الولادة ما الذي أبكاكا
وإذا ترى الثعبان ينفث سمَّهُ ... فاسأله من ذا بالسموم حَشَاكا
واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيا وهذا السمُّ يملأ فَاكا
واسأل بطون النَّحل كيف تقاطر ... ت شهداً وقل للشهد من حلاَّكا
بل سائل اللبن المُصَفَّى كان ... بين دم وفرث ما الذي صفَّاكا

وإذا رأيت الحي يخرج من ... حَنَايا ميتٍ فاسأله من أحياكا
قل للهواء تحسه الأيدي ويخفى ... عن عيون الناس من أخفاكا
قل للنبات يجفُّ بعد تعهُّدٍ ... ورعاية من بالجفاف رَمَاكا
وإذا رأيت النَّبت في الصحراء ... يربو وحده فاسأله من أَرْبَاكا
وإذا رأيت البدر يسري ناشرا ... أنواره فاسأله من أسْرَاكا
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ... فاسأله من يا نخل شقَّ نواكا
وإذا رأيت النار شبَّ لهيبها ... فاسأل لهيب النار من أوراكا
وإذا ترى الجبل الأشَمَّ مناطحا ... قِمَمَ السَّحاب فسَلْه من أرساكا
وإذا ترى صخراً تفجر بالمياه ... فسله من بالماء شقَّ صَفَاكا
وإذا رأيت النهر بالعذب الزُّلال ... جرى فسَلْه من الذي أجراكا
وإذا رأيت البحر بالملح الأُجاج ... طغى فسَلْه من الذي أطغاكا
وإذا رأيت الليل يغشى داجياً ... فاسأله من يا ليل حاك دُجاكا
ستجيب ما في الكون من آياته ... عجب عجاب لو ترى عيناكا
ربي لك الحمد العظيم لذاتك ... حمداً وليس لواحد إلاَّكا
يا مدرك الأبصار والأبصار ... لا تدري له ولِكُنْهِهِ إدراكا
إن لم تكن عيني تراك فإنني ... في كل شيء أستبين عُلاكا
يا منبت الأزهار عاطرة الشَّذَى ... ما خاب يوماً من دعا ورَجَاكا
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي ... بالله جل جلاله أغراكا

وصدق من قال:

سل الواحة الخضراء والماء جاريا ... وهذه الصحاري والجبال الرواسيا
سل الروض مزداناً سل الزهروالندى ... سل الليل والإصباح والطير شاديا
سل هذه الأنسام والأرض والسما ... سل كل شيء تسمع الحمد لله ساريا
ولو جن هذا الليل وامتد سرمدا ... فمن غير ربى يرجع الصبح ثانيا

أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ! !

نعم انظر حولك، ماذا ترى سماءً ذات أبراج، وأرضا ذات فجاج، ونجوما تظهر، كل هذا صنع من؟

كل هذا خلق من ؟

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان :١١]

سُئل الإمام مالك: ما الدليل على قدرة الله ؟

قال: اخْتِلَاف اللُّغَاتِ وَالْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمَاتِ،

وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ بَعْضَ الزَّنَادِقَةِ سَأَلُوهُ عَنْ وُجُودِ الْبَارِي تَعَالَى،

فَقَالَ لَهُمْ: دَعُونِي فَإِنِّي مُفَكِّرٌ فِي أَمْرٍ قَدْ أُخْبِرْتُ عَنْهُ ذَكَرُوا لِي أَنَّ سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ مُوقَرَةٌ فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْمَتَاجِرِ وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ يَحْرُسُهَا وَلَا يَسُوقُهَا، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَتَسِيرُ بِنَفْسِهَا وَتَخْتَرِقُ الْأَمْوَاجَ الْعِظَامَ حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنْهَا، وَتَسِيرَ حَيْثُ شَاءَتْ بِنَفْسِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسُوقَهَا أَحَدٌ.

فَقَالُوا: هَذَا شَيْءٌ لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ،

فَقَالَ: وَيْحَكُمْ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْكَمَةِ لَيْسَ لَهَا صَانِعٌ!! فَبُهِتَ الْقَوْمُ وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدَيْهِ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ وُجُودِ الصَّانِعِ، فَقَالَ: هَذَا وَرَقُ التُّوتِ طَعْمُهُ وَاحِدٌ تَأْكُلُهُ الدُّودُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْإِبْرَيْسِمُ، وَتَأْكُلُهُ النَّحْلُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْعَسَلُ، وَتَأْكُلُهُ الشَّاةُ وَالْبَعِيرُ وَالْأَنْعَامُ فَتُلْقِيهِ بَعْرًا وَرَوَثًا، وَتَأْكُلُهُ الظِّبَاءُ فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: هَاهُنَا حِصْنٌ حَصِينٌ أَمْلَسُ، لَيْسَ له باب وَلَا مَنْفَذٌ، ظَاهِرُهُ كَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَبَاطِنُهُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذِ انْصَدَعَ جِدَارُهُ فَخَرَجَ مِنْهُ حَيَوَانٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذُو شَكْلٍ حَسَنٍ وَصَوْتٍ مَلِيحٍ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْبَيْضَةَ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا الدَّجَاجَةُ.

وَسُئِلَ أَبُو نُوَاسٍ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْشَدَ:

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ

عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ

عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةً ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

عباد الله: من أراد أن يتعرف على عظمة الله فلينظر إلى نفسه نظرة فاحصة .

انظر إلى العين: من الذي هداها للرؤية؟

انظر إلى الأذن: من الذي هداها للسمع ؟

انظر إلى الأنف: من الذي هداه للشم ؟

انظر إلى اللسان: من الذي هداه للتذوق ؟

إنه الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، هدى الخلائق إلى معرفة مصالحهم **﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾** [طه :٥٠]

أيها المسلمون: وحدوا صفوفكم ولموا شعثكم، وصلوا اليوم أرحامكم، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا **﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ**

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

أيها الناس: هنيئا لمن أشبع اليوم جائعا، أو كسى عُريانا، أو زار مريضا، أوساعد بائسا، أو أرشد حيرانا، أو بر آباءه وأمهاته، أو وسع على زوجته وأبنائه، أو ذكر الله بقلبه ولسانه .

أيها الناس: أكثروا من صلاة على سيد الورى ، اللهم صل عليه ما ذكره الذاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون .

اللهم اجعل هذا العيد عيد نصرة للأمة الإسلامية اللهم أتم علينا نعمتك، وأوف لنا فضلك، وأكمل علينا نعمتك يا رب العالمين! نسألك اللهم المزيد من فضلك ونعمتك يا أكرم الأكرمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا.

اللهم يا أرحم الراحمين! نسألك في هذه الأيام المباركة اللطف بإخواننا المضطهدين والمعذبين والمشردين والمبعدين والأسرى والمسجونين والجرحى والمرضى والمنكوبين في كل مكان يا رب العالمين! اللهم إنهم حفاة فاحملهم، عراة فاكسهم، جياع فأطعمهم، خائفون فأمنهم، مشردون فسكنهم.

اللهم امسح عبرتهم، وسكن لوعتهم، وفرج همهم، ونفس كربهم، وعجل فرجهم، وقرب نصرهم، وادحر عدوهم، وزد إيمانهم، وعظم يقينهم، واجعل ما قضيت عليهم زيادة لهم في الإيمان واليقين، ولا تجعله فتنة لهم في الدين.

اللهم اجعل لنا ولهم من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل فتنة عصمة، ومن كل بلاء عافية يا سميع الدعاء!

اللهم إنا نسألك أن تكون قد ختمت لنا رمضان بالمغفرة والقبول والرضوان، والعتق من النيران.

اللهم ارزقنا الاستقامة على الطاعات بعد رمضان، اللهم وارزقنا صلة رمضان بصوم التطوعات يا رحيم! يا رحمان!

اللهم وفقنا في غير رمضان إلى الإنفاق في سبيلك، وإلى مد حبال الوصل لإخواننا في كل مكان.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في أرض فلسطين، وفي كل مكان يا رب العالمين! اللهم إنا نسألك أن تلطف بهم فيما تجري به المقادير، اللهم ثبتهم في وجوه الصهاينة المعتدين.

اللهم أخرج أولئك المجرمين من المسجد الأقصى أذلة صاغرين عاجلاً غير آجل يا رب العالمين! والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠ - ١٨٢].

خطبة عيد الأضحى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد! الله أكبر كبيراً! والحمد لله كثيراً.

الله أكبر عدد ما ذكره الحاجون وبكوا ! والله أكبر عدد ما طافوا بالبيت الحرام وسعوا ! الله أكبر عدد ما زهرت النجوم، وتلاحمت الغيوم ! الله أكبر عدد ما أمطرت السماء، وعدد ما غسق واقب أو لاح ضياء ! الله أكبر عدد خلقه ، وزنة عرشه، ومداد كلماته ! الله أكبر ما وقفوا بعرفة وذكروا الله عند المشاعر العظام ! الله أكبر ما اهتزت النفوس شوقا إلي المدينة المنورة علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام !الله أكبر ما اجتمع المسلمون في هذا اليوم وهو أشرف الأيام ! الله أكبر ما صلوا ونحروا وشكروا الله علي نعمه الإسلام !

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً.

أيها الناس: نعيش هذه المناسبة الكبرى في هذا اليوم ونحن نتذكر عظمة لا إله إلا الله ، وقدسية لا إله إلا الله ، وفضل لا إله إلا الله.

أيها الناس: أي أمة كنا قبل الإسلام ، وأي جيل كنا قبل الإيمان ، وأي كيان كنا بغير القرآن .

كنا قبل الإسلام أمة وثنية، أمة لا تعرف الله، أمة تسجد للحجر، أمة يقتل بعضها بعضا، أمة عاقة، أمة لا تعرف من المبادئ شيئا؛ فلما أراد الله أن يرفع رأسها وأن يعلي مجدها أرسل إليها رسول الهدى محمد .

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة :٢]

إن البريةَ يومَ مبعث أحمد نظرَ الإلهُ لها فبدَّل حالَها

بل كرم الإنسانَ حين اختار من خيرِ البرية نجمَها وهلالَها

أرسل الله نبيه الكريم وصدع بالحق وأنذر عشيرته الأقربين، وصعد على جبل الصفا، ونادى على العشائر والبطون، ثم قال لهم لما اجتمعوا: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا

فقامت دعوته على لا إله إلا الله كما كانت دعوة الأنبياء من قبله، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء:٢٥]

أيها الأحبة: معنى لا إله إلا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله

معنى لا إله إلا الله: أن تعيش عبدا لله، فتحيا بقوة لا إله إلا الله، وتموت على لا إله إلا الله

معنى لا إله إلا الله: أن ترضى بالله ربا وبرسول الله قدوة وإماما ومربيا ومعلما فتجعله أسوة لك .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب :٢١]

معنى لا إله إلا الله: أن ترضى بالإسلام دينا فإن لم ترض به دينا غضب الله عليك، وكشف عنك ستره، ولم يحفظك فيمن حفظه، ولا تولاك فيمن تولى .

لا إله إلا الله: من مات عليها دخل الجنة

روى أبو داود بسند صحيح عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»** (١٠٩)

لا إله إلا الله: تثقل ميزان العبد يوم القيامة ، جاء في سنن الترمذي وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم بسند صحيح من حديث عَبْد اللَّهِ بْنِ

(١٠٩) أخرجه أبو داود في سننه (٣١١٦) وأخرجه أحمد (٢٢١٢٧) وإستاده صحيح

عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ،**

فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ،

فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ،

فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» (١١٠)

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله!

الله أكبر! الله أكبر! ولله الحمد!

أمة الإسلام: إن هذا العيد يذكرنا بالتضحية ، فما قيمة الحياة إذا لم يكن للمرء عقيدة يجاهد من أجلها، وما قيمة العيش إذا لم يكن كفاح فيه تعب ونصب، ثم يتبعه راحة فيها مسرة وهناء، وما جدوى السير في الصحراء

---

(١١٠) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٢٥) وأحمد في مسنده (٦٩٩٤) والحاكم في مستدركه (٩) كلهم من طريق لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَعَافِرِيِّ ثُمَّ الحُبُلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو به .

وقال الحاكم بعد أن ذكره : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَمْ يُخَرَّجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَدِ احْتَجَّ بِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَعَامِرِ بْنِ يَحْيَى مِصْرِيٍّ ثِقَةٍ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، إِمَامٌ، وَيُونُسُ الْمُؤَدِّبُ: ثِقَةٌ، مُتَّفَقٌ عَلَى إِخْرَاجِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ"

وقال الذهبي: على شرط مسلم

الجرداء إذا لم يكن في نهايتها واحة خضراء ؛ ولهذا نضر الكريم الحليم أيام المؤمنين بالأعياد تأتيهم على ميعاد، فيستريحون فيها ويلبسون ويتزينون، ويأكلون ويشربون، ومع كل هذا لم يخلها سبحانه من حكمة بالغة وعظة شافية .

فهذا عيد الأضحى يرجع بخواطرنا إلى الموقف العظيم، الخالد في التاريخ الباقي على مر الأزمان، المردد على شفتي الأيام .

إنه موقف إبراهيم "موقف التضحية"

أمة الإسلام: إن حياة إبراهيم مليئة بالكفاح وبالتضحيات، ولما لا وهو الذي عرض نفسه للنيران، وولده للقربان، فاستحق أن يكون خليل الرحمن.

ماذا حدث ؟ رأى إبراهيم في المنام رؤيا أنه يؤمر يذبح ولده ورؤيا الأنبياء وحي

قال تعالى **﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾**

[الصافات: ٩٩]

قال الحافظ ابن كثير: أَيْ شَبَّ وَصَارَ يَسْعَى فِي مَصَالِحِهِ كَأَبِيهِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: **{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ}** [الصافات: ١٠٢] أَيْ شَبَّ وَارْتَحَلَ، وَأَطَاقَ مَا يَفْعَلُهُ أَبُوهُ مِنَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا أُرِيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ هَذَا.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا **«رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ»** . قَالَهُ عُبَيْدُ ابْنُ عُمَيْرٍ أَيْضًا.

وَهَذَا اخْتِبَارٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِخَلِيلِهِ فِي أَنْ يَذْبَحَ هَذَا الْوَلَدَ الْعَزِيزَ الَّذِي جَاءَهُ عَلَى كِبَرٍ، وَقَدْ طَعَنَ فِي السِّنِّ بَعْدَ مَا أُمِرَ بِأَنْ يُسْكِنَهُ هُوَ وَأُمَّهُ فِي بِلَادٍ قَفْرٍ، وَوَادٍ لَيْسَ بِهِ حَسِيسٌ وَلَا أَنِيسٌ وَلَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، فَامْتَثَلَ أَمْرَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَتَرَكَهُمَا هُنَاكَ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَرَزَقَهُمَا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبَانِ، ثُمَّ لَمَّا أُمِرَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ بِذَبْحِ وَلَدِهِ هَذَا، الَّذِي قَدْ أَفْرَدَهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَهُوَ بِكْرُهُ وَوَحِيدُهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ أَجَابَ رَبَّهُ وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ، ثُمَّ عَرَضَ ذَلِكَ عَلَى وَلَدِهِ؛ لِيَكُونَ أَطْيَبَ لِقَلْبِهِ وَأَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُ قَسْرًا وَيَذْبَحَهُ قَهْرًا، قَالَ: **﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾** [الصافات: ١٠٢]. فَبَادَرَ الْغُلَامُ الْحَلِيمُ يَبَرُّ وَالِدَهُ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: **﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾** [الصافات: ١٠٢] .

وَهَذَا الْجَوَابُ فِي غَايَةِ السَّدَادِ وَالطَّاعَةِ لِلْوَالِدِ وَلِرَبِّ الْعِبَادِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** [الصافات: ١٠٣] . قِيلَ: أَسْلَمَا أَيِ اسْتَسْلَمَا لِأَمْرِ اللَّهِ وَعَزَمَا عَلَى ذَلِكَ. وَقِيلَ: هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ، وَالْمَعْنَى تَلَّهُ لِلْجَبِينِ أَيْ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ. قِيلَ: أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَهُ مِنْ قَفَاهُ لِئَلَّا يُشَاهِدَهُ فِي حَالِ ذَبْحِهِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ،

وَالضَّحَّاكُ. وَقِيلَ: بَلْ أَضْجَعَهُ كَمَا تُضْجَعُ الذَّبَائِحُ، وَبَقِيَ طَرَفُ جَبِينِهِ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ، وَأَسْلَمَا أَيْ سَمَّى إِبْرَاهِيمُ وَكَبَّرَ وَتَشَهَّدَ وَسَلَّمَ الْوَلَدَ لِلْمَوْتِ.

قَالَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ: أَمَرَّ السِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ فَلَمْ تَقْطَعْ شَيْئًا.

وَيُقَالُ: جُعِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلْقِهِ صَفِيحَةٌ مِنْ نُحَاسٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ نُودِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾** [الصافات: ١٠٤]. أَيْ قَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنِ اخْتِبَارِكِ وَطَاعَتِكَ وَمُبَادَرَتِكَ إِلَى أَمْرِ رَبِّكَ وَبَذْلِكَ وَلَدَكَ لِلْقُرْبَانِ، كَمَا سَمَحْتَ بِبَدَنِكَ لِلنِّيرَانِ، وَكَمَا مَالُكَ مَبْذُولٌ لِلضِّيفَانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾** [الصافات: ١٠٦]. أَيِ الِاخْتِبَارُ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ.

وَقَوْلُهُ: **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** [الصافات: ١٠٧] . أَيْ وَجَعَلْنَا فِدَاءَ ذَبْحِ وَلَدِهِ مَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الْعِوَضِ عَنْهُ، وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ كَبْشٌ أَبْيَضُ أَعْيَنُ أَقْرَنُ رَآهُ مَرْبُوطًا بِسَمُرَةٍ فِي ثَبِيرٍ.

قَالَ الثَّوْرِيُّ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَبْشٌ قَدْ رَعَى فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا.

قَالَ مُجَاهِدٌ: فَذَبَحَهُ بِمِنًى.

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: ذَبَحَهُ بِالْمَقَامِ.

عباد الله: يستفاد من قصة إبراهيم أن الحياة في الحقيقة ملك خالص لله، يتصرف فيها كيف يشاء، وأن العبد بين أصابع ربه يقلبه كيفما أراد، فعلى المؤمن أن يجعل حياته لله ووقته لله ومن المفترض أن يكون موته لله ! !

قال تعالى **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام:١٦٢-١٦٣]

وهذه حياة الصحابة الأخيار الأطهار تظهر لنا أروع الأمثلة في التضحية والبذل والعطاء .

فهذا أبو بكر صديق الأمة الأكبر يأتي إلى النبي بماله كله يوم تبوك ،

فيقول له النبي : يا أبا بكر ماذا تركت لأهلك ؟

فيقول : تركت لهم الله ورسوله ! !

وهذا عثمان ذو النورين الحيي الكريم القانت الساجد العابد يضرب أروع الأمثلة في الجود والكرم.

وقف النبي يوما فقال : من يشتري بئر رومة وله الجنة ؟

قال عثمان: أنا يا رسول الله ! فاشتراها وجعلها صدقة للمسلمين .

وهذا عبد الله بن جحش، شاب في السادسة والعشرين من عمره يقدم روحه يوم أحد.

روى الحاكم وأبو نعيم في الحلية بسند صحيح من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، حدّثني أبي أنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: أَلا تَأْتِي فَنَدْعُوا اللَّهَ، فَجَلَسُوا فِي ناحية، فدعا سعد، وقال: يارب، إِذَا لَقِيتُ الْعَدُوَّ غَدًا فَلَقِّنِي رَجُلا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ، وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفْرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلَبَهُ، فَأَمَّنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهمّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي فَيَقْتُلَنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَتَقُولُ: صَدَقْتَ.

قَالَ سَعْدٌ: "كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ مُعَلَّقَانِ جَمِيعًا فِي خَيْطٍ" (١١١).

يقول شاعر الإسلام محمد إقبال:

كنا جبالاً في الجبالِ وربما صرنا على موج البحارِ بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذفُ نارا
كنا نرى الأصنامَ من ذهب فنهدمها ونهدمُ فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها كنزاً وصاغ الحلي والدينارا
أرواحنا يا رب فوق أكُفِّنا نبغي ثوابك مَغْنَمًا وجوارا

عباد الله: إن يومكم هذا هو يوم الحج الأكبر وهو عيد الأضحى والنحر، وإن من أعظم ما يؤدى في هذا اليوم، هو بقية مناسك الحج، إضافة إلى الأضحية الشرعية، التي ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إراقة دم، وإن للمضحي في كل شعرة حسنة، وبكل صوفة حسنة، وهي سنة أبينا إبراهيم المؤكدة، ويكره تركها لمن قدر عليها، كما أن ذبحها أفضل من التصدق بثمنها، وتجزئ الشاة عن واحد، والبدنة والبقرة عن سبعة.

ثم اعلموا أن للأضحية شروطاً ثلاثة:

الشرط الأول: أن تبلغ السن المعتبرة شرعاً وهو خمس سنين للإبل وسنتان في البقر، وسنة كاملة في المعز، وستة أشهر في الضأن.

---

(١١١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٤٠٩) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٨/١)

والشرط الثاني: أن تكون سالمةً من العيوب، التي نهى عنها الشارع، وهي أربعة عيوب، العرجاء التي لا تعانق الصحيحة في الممشى، والمريضة البين مرضها، والعوراء البين عورها، والعجفاء: وهي الهزيلة التي لا مخ فيها، وكلما كانت أكمل في ذاتها وصفاتها فهي أفضل.

قال رسول الله **"أَرْبَعٌ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعَوْرَاءُ، الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ، الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ، الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ، الَّتِي لَا تُنْقِي"**(١١٢)

والشرط الثالث: أن تقع الأضحية في الوقت المحدد، وهو الفراغ من صلاة العيد، وينتهي بغروب الشمس من اليوم الثالث بعد العيد، فصارت الأيام أربعة.

ومن كان منكم يحسن الذبح فليذبحها بنفسه، ومن لا يحسنه فليوكل غيره ممن يحسنه، وليرفق الجميع بالبهيمة، وليرح أحدكم ذبيحته، وليحد شفرته، فإن الله كتب الإحسان على كل شيء، حتى في ذبح البهيمة، ثم ليسمي أحدكم عند ذبحها، ويقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك ، والسنة أن يوزعها أثلاثاً، فيأكل ثلثاً، ويهدي ثلثاً ويتصدق بثلث، ووقت الذبح يمتد من بعد الفراغ من صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق على الصحيح من أقوال العلماء، فلا تحرموا أنفسكم ثواب الله في هذه الأيام المباركة، وتقربوا إلى الله بالعج والثج(١١٣) فما عمل في هذه الأيام المباركة عملٌ

---

(١١٢) أخرجه أبو داود (٢٨٠٢) وأخرجه الترمذي (١٤٩٧) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ فَيْرُوزَ عَنِ البَرَاءِ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا الحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ ، وأخرجه النسائي في سننه (٤٣٧١،٤٣٧٠،٤٣٦٩) وأخرجه ابن ماجه (٣١٤٤) بسند صحيح

(١١٣) العج: رفع الصَّوْت بِالتَّلْبِيَةِ ، والثج: سيلان دِمَاء الْهدى.
ينظر غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢٧٩/١)

أحب إلى الله من إراقة الدم، وكثرة ذكره وتكبيره، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

هذه عن فلان أو فلانة، ويسمي صاحبها.

الدعاء

اللهم اجعل هذا العيد عيد نصرة للأمة ، اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك الصالحين

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا،

اللهم وفق ولاة المسلمين للحكم بشريعتك واتباع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم يا سميع الدعاء!

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم عجل بنصرهم يا قوي يا عزيز.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

يا سلعة الرحمن

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم وأسكنهم إياها قبل إن يوجدهم وحفها بالمكاره وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملا وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا، وأودعها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البُشر على لسان خير البشر وكمّل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا.

والحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه دعا عباده إلى دار السلام فعمّهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلا فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن محمد عبده ورسوله وأمينة على وحيه وخيرته من خلقه أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين بعثه للإيمان مناديا وإلى دار السلام داعيا وللخليقة هاديا ولكتابه تاليا وفي مرضاته ساعيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين وعلى منهاجه وطريقته من السالكين.

فسبحان من شرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره فدعا إلى الله وإلى جنته سرا وجهارا وأذّن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا إلى أن طلع فجر الإسلام وأشرقت شمس الإيمان وعلت كلمة الرحمن وبطلت دعوة الشيطان وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها فأشرق وجه الدهر حسنا وأصبح الظلام ضياء واهتدى كل حيران فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته ونشر به على الخلائق رحمته فبلغ رسالات ربه ونصح عباده وجاهد في الله حق جهاده خيّره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا إليه فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأرفع الأسنى وقد ترك أمته على الواضحة الغراء والمحجة البيضاء فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم وعدل

الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال:٤٢](١١٤).

أما بعد:

فحيا الله هذه الوجوه التي طال والله شوقي إليها وشرح الله هذه الصدور بنور الإيمان، وجمعنا في الدنيا دائما على طاعته وفي الآخرة مع المصطفى في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شئ قدير .

يا سلعة الرحمن

هذا هو عنوان لقاءنا في هذا اليوم الكريم المبارك وأسأل الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ .

أحبتي في الله: فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم عُرض على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقا ووجلا وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة وان خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله وباء به على ظلمه وجهله فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية فقد ملكهم باعث الحس وغاب عنهم داعي العقل وشملتهم الغفلة وغرتهم

(١١٤) اقتباس من مقدمة حادي الأرواح لابن قيم الجوزية بتصرف

الأماني الباطلة والخدع الكاذبة فخدعهم طول الأمل وران على قلوبهم سوء العمل فهمّهم في لذات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها ومن أي وجه لاحت أخذوها إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا ، باعوا دينهم بدنياهم ، وباعوا الآجلة بالعاجلة

فيا عجبا من سفيه في صورة حليم ومعتوه في مسلاخ عاقل باع جنة عرضها السماوات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارا عرابا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارا من خمر لذة للشاربين بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ونداء المنادي يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين.

والله سيظهر الغبن الفاحش يوم الندامة ، يوم القيامة إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا وسيق المجرمون إلى جهنم وردا ، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم بين العباد ؟

وماذا أعد لهم ربهم ، أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فتعالوا بنا أيها الأحبة لنرى الجنة وما فيها

أخي الخلد تناجيك فهل من مجيب والحور تهفو للقاء الحبيب

فوا عجبا كيف نام طالبها؟

وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟

فتعالوا بنا أيها المسلمون لنترك الدنيا لحظات ونذهب بقلوبنا إلى الجنة أسأل الله أن يجعلنا من أهلها .

ماذا في الجنة؟

وعن أي شئ أحدثكم عنها ؟

هل أحدثكم عن أبوابها وسعة دارها، وأنهارها ، وقصورها ، وطعامها، وشرابها .....؟

لكن من الذي يعطي لنا المعلومات عن الجنة وما مصدرها؟

المعلومات مصدرها الكتاب والسنة

إذ الكتاب كتاب من أوجدها وأوجد نعيمها ، وخلق أهلها وهداهم ، فأعدهم لها ، وعرفهم بها .

أما السنة فإنها أخبار من دخلها ووطئت أقدامه أرضها وبلغ سدرة المنتهى فيها كما قال تعالى ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ [النجم: ١٢-١٤]

هيا نبدأ المسيرة

وفي البداية نود أن نؤصل أصلا هاما من أصول أهل السنة والجماعة ألا وهو أن الجنة موجودة الآن .

قال ابن قيم الجوزية : " لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على

اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبتت نابتة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها"[١١٥].

- **أما إن سألت عن سعتها**

فما أوسع دار المتقين

عرضها كعرض السماء والأرض قال تعالى ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]

وقال تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد:٢١]

- **أما إن سألت عن ريحها**

ما أطيب ريحها ! !

---

(١١٥) حادي الأرواح ص ١١

عنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ"** (١١٦)

وفي رواية عند الحاكم في مستدركه بسند صححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، عن أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رَائِحَتَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»**(١١٧)

- **أما إن سألت عن أبوابها**

فللجنة ثمانية أبواب

قال سبحانه وتعالى ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر:٧٣]

ففي الصحيحين من حديث سَهْلٍ بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **" إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"**

---

(١١٦) صحيح : أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١٩١٧٢) عَنْ قَتَادَةَ، أَوْ غَيْرِهِ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، به ، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٠٤٦٩) عن عبد الرزاق عن معمر به ، ومن طريق أحمد ، أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٥٧٩) موقال :«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وَلَهُ شَاهِدٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ" وقال الذهبي: على شرط البخاري

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٣٨٢) من طريق الحسن به

(١١٧) الحاكم في مستدركه (١٣٣)

وفي صحيح مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: **" مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ "**(١١٨).

وفي مسند أحمد من حديث عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ، صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **" مَنْ يَمُوتُ - وَقَالَ حَسَنٌ** (يعني حسن بن موسى)**: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى - لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ "**(١١٩)

ومعنى قوله: لم يبلغوا الحنث: أي البلوغ والتكليف

- **وأبواب الجنة في غاية الوسع والكبر**

مابين مصراعي الباب مسيرة أربعين سنة، ومع هذا سوف يكتظ الداخلين عند دخولهم من كثرة الزحام.

---

(١١٨) صحيح مسلم (٢٣٤)

(١١٩) أخرجه أحمد (١٧٦٣٩) بسند صحيح لغيره

روى مسلم في صحيحه عن عتبة بن غزوان موقوفا عليه أنه قال: **"مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ"**(١٢٠)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ**(١٢١) **مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى -"** (١٢٢)

أما إن سألت عن استقبال الملائكة لأهل الجنة

قال تعالى **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾** [الزمر:٣٧]

وقال تعالى **﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** [الأنبياء:١٠٣]

فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون.

﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ أي سلامتكم ودخولها بطيبكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين.

﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ إي إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ دار الكرامة لم تغلق الأبواب عليهم، بل تبقى مفتحة.

---

(١٢٠) مسلم في صحيحه (٢٩٦٧)

(١٢١) (المصراعين) جانبي الباب.

(١٢٢) البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤)

قال جل وعلا ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ**﴾ [ص:٥٠-٥١]

- **أما إذا سألت عن قصور الجنة وعن غرفها**

ماذا نقول عن قصورها ومن الذي يقوى على وصف قصورهم ومن يحسن التعبير عن نعيمهم وسرورهم والله مكرمهم والمنعم عليهم يقول ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾ [الإنسان:٢٠]

واسمع ما ذا قال النبي عن قصور الجنة وهو الرجل الذي تشرفت دار السلام بقدومه عليها، ورؤيته لها في الحياة الدنيا يقظة مرة ومناما مرة أخرى ، ورؤيا الأنبياء وحي .

ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ قَالَ: **" بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ "**(١٢٣)

أيها الحبيب، إن في الجنة قصورا من ذهب

قال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته.

قال الأعمش: إن في الجنة قصورا من ذهب وقصورا من فضة وقصورا من لؤلؤ وقصورا من ياقوت وقصورا من زبرجد .

أما عن غرفها

(١٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢٤٢) ومسلم في صحيحه (٢٣٩٥)

قال تعالى ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ**﴾ [الزمر:٢٠]

فأخبر جل وعلا أنها غرف وأنها مبنية بناءاً حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء .

روى الترمذي بسند حسن من حديث عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**»، **فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**(١٢٤)

وفي الصحيحين عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ**»(١٢٥)

- **أما إن سألت عن أرض الجنة**

أخي : ما تظن في أرض الجنة ؟

هل هي من تراب أبيض أو أحمر ؟

هل حصباؤها من حجارة ملونة جميلة ؟

وما شكل جدرانها ؟

وللجواب نقول:

---

(١٢٤) أخرجه الترمذي (١٩٨٤) قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَلِيٍّ به وقال : «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ هَذَا مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ وَهُوَ كُوفِيٌّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ القُرَشِيُّ مَدِينِيٌّ وَهُوَ أَثْبَتُ مِنْ هَذَا»

وهذا إسناد ضعيف لضعف عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ ولجهالة النعمان بن سعد، وللحديث شواهد تحسنه ينظر صحيح الترغيب للألباني (٩٣٨)، والمشكاة (١٢٣٢ – ١٢٣٣) .

(١٢٥) أخرجه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣)

روى ابن أبي شيبة في مصنفه عَنْ، ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ هِيَ؟ قَالَ: **«مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَى لَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يُبْلَى شَبَابُهُ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: **«لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، مِلَاطُهَا مِسْكٌ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ»**(١٢٦)

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: "كان أبو ذر يحدث أن رسول الله قال: **" أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ**(١٢٧) **اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ"**

قال ابن قيم الجوزية: وهذا يحتمل معنيين:

- إما أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكا.
- وإما أن يكون زعفرانا باعتبار اللون ، مسكا باعتبار الرائحة وهذا من يكون البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك.

- **أما إن سألت عن الخيام والأسواق في الجنة**

لا عجب أن يكون هناك في الجنة خيام وأسواق ؛ فالجنة مشتملة لكل أوجه النعيم الروحاني والجثماني، مشتملة على كل ضروب السعادة، وصنوف النعيم ، فلا يستنكر أن يكون فيها خيام ولا يستبعد أن يكون فيها أسواق؛ إذ في الخيام متع وفي الأسواق سرور وحبور.

والسؤال الآن ما شكل الخيام ؟وما نوعها ؟ وما مادة تكوينها ؟ وما مدى حسنها وجمالها؟

والجواب من فم النبوة الطاهر، برهانا ساطعا ، وحقا قاطعا .

---

(١٢٦) رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ في مصنفه وَابْنُ أبي الدنيا والطبراني بإسناد حسن حسنه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢٢٩/٨) .

(١٢٧) الجَنَابِذ جَمْع جُنْبَذَة:وَهِيَ القُبَّة.

النهاية لابن الأثير (٣٠٥/١)

روى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»**(١٢٨)

ومن الخيام إلى الأسواق:

سبحان الله! وهل في الجنة سوق ؟ وكيف لا يكون ذلك والله يقول لعباده من أهل السعادة والإيمان والاستقامة ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [فصلت:٣١]

إنه ليس من المستغرب أبدا أن تتوق نفس المؤمن في الجنة إلى دخول سوق من الأسواق وخاصة المؤمنين الذين تعودوا الضرب في الأسواق كعبد الرحمن بن عوف وأمثاله .

وهذا الإمام مسلم يخرج لنا حديث السوق في صحيحه من حديث أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا "**(١٢٩)

- **أما إن سألت عن أنهار الجنة وأشجارها**

تعالوا بنا نتجول قليلا بين أنهار الجنة وتحت أشجارها ، ونمتع النفس ساعة قبل قيام الساعة .

---

(١٢٨) أخرجه مسلم (٢٨٣٨)

(١٢٩) أخرجه مسلم (٢٨٣٣)

هيا بنا إلى الأنهار الأربعة:

نهر الماء، ونهر اللبن، ونهر الخمر، ونهر العسل .

قال جل وعلا في سورة "محمد" ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾ [محمد:١٥]

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر:

وهذا النهر خص الله به محمدا وأمته قال تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾

روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: **" أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ "**(١٣٠)

وروى البخاري عن أَنَس بْن مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**

قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ"(١٣١)

حافتاه قباب اللؤلؤ: أي على حافتيه.

مجوفا: أي القبة كلها من لؤلؤة مجوفة واللؤلؤ جوهر نفيس معروف.

---

(١٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٦٤)

(١٣١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٨١)

الكوثر: نهر في الجنة والكوثر كل كثير من الخير.

وعند الترمذي بسند حسن من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الكَوْثَرُ؟

قَالَ: **«ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الجَنَّةِ - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ»**

قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»**(١٣٢)

ومن الأنهار إلى الأشجار

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **" إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ،** وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ **﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾** [الواقعة: ٣٠](١٣٣)

قال ابن عباس عن "الظل المدود" : شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام في كل نواحيها .

أما إن سألت عن الطعام والشراب

أقول: لقد ضل قوم من الفلاسفة والنصارى فزعموا أن نعيم الجنة روحاني بحت ليس فيه شئ للجسم بالمرة ، وهذا معتقد خاطئ وباطل لا شك في بطلانه عند من يعرف عن الله وعن رسله عليهم السلام.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** [المرسلات :٤١-٤٤]

---

(١٣٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٢) وقال : حديث حسن

(١٣٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٢،٤٨٨١) ومسلم (٢٨٢٦)

وقال تعالى ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]

﴿**وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ [الطور:٢٢]

وفي صحيح مسلم من حديث جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ**»

قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟

قَالَ: «**جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»(١٣٤)

قال الإمام النووي: "مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ يَتَنَعَّمُونَ بِذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أَبَدًا وَإِنَّ تَنَعُّمَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى هَيْئَةِ تَنَعُّمِ أهل الدنيا إلا ما بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاضُلِ فِي اللَّذَّةِ وَالنَّفَاسَةِ الَّتِي لايشارك نعيم الدنيا إلا فى التَّسْمِيَةِ وَأَصْلِ الْهَيْئَةِ وَإِلَّا فِي أَنَّهُمْ لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ وَلَا يَبْصُقُونَ وَقَدْ دَلَّتْ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي هَذِهِ الأحاديث الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ أَبَدًا"

- **أما عن شراب أهل الجنة**

قال جل وعلا ﴿**وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ**﴾ [الواقعة:١٨-١٩]

---

(١٣٤) صحيح مسلم (٢٨٣٥)

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [الصافات:٤٤-٤٧]

قال ابن عباس: الخمر لا فيها غول: أي ليس فيها صداع .

ولاهُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ: أي لا تذهب عقولهم .

- **أما الآنية التي يشربون فيها**

فيشربون في صحاف من ذهب و أكواب

والصحاف: قال الليث:- الصفحة: قطعة مسطحة عريضة.

وأما الأكواب: جمع كوب

وقال أبو عبيد: الأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها

قال ابن عباس: هي الأباريق التي ليست لها أذان.

قال عز وجل **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [الزخرف: ٧١]

قال جل وعلا **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾** [الواقعة: ١٧- ١٨]

الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم، فان لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب .

وقال جل وعلا **﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾** [الإنسان:١٥-١٦]

والقوارير: هى الزجاج فأخبر سبحانه عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفة الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، ففيها بياض الفضة و صفاء القوارير.

- **أما عن لباسهم وحليهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم**

قال تعالى ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾ [الزخرف:٥١-٥٣]

وقال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف:٣٠ -٣١]

قال الزجاج: عن السندس والإستبرق هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

قال جماعة من المفسرين: السندس مارق من الديباج.

الإستبرق: ما غلظ منه .

قال تعالى ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ [الإنسان:٢١]

أخي: تأمل كلمة عاليهم من كون ذلك اللباس ظاهرا بارزا يجمل ظواهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

أما عن الأساور:

قال تعالى ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [فاطر:٣٣]

فالأساور من ذهب ومن جر كلمة لؤلؤ عطفا على كلمة ذهب دل ذلك على أن الأساور من ذهب ، ومنها ما هو من لؤلؤ.

ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا: الذهب المرصع باللؤلؤ، والله أعلم.

وعند الترمذي في الجنة من حديث سعد بن أبي وقاص عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ»**(١٣٥)

وعند الطبرانى في الأوسط عن ابن مسعود وقال الهيثمي: إسناد ابن مسعود صحيح أن النبي قَالَ: **"أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ لُحُومِهِمَا وَحُلَلِهِمَا كَمَا يُرَى الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ»**(١٣٦)

أما الفرش بطائنها من إستبرق وهى مرفوعة.

---

(١٣٥) أخرجه الترمذي (٢٥٣٨) قال:حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ المُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ،به وقال: حديث غريب لَا نَعْرِفُهُ بِهَذَا الإِسْنَادِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ» وَقَدْ رَوَى يَحْيَى ابْنُ أَيُّوبَ، هَذَا الحَدِيثَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، وَقَالَ: عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح غيرَ عبد الله بن لهيعة، فقد خرج له مسلم مقروناً بغيره وروى له أصحاب السنن، وهو- وإن كان في حفظه شيئ ، فقد قال ابن حجر في "التقريب": ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما وقد رواه عبد الله بن المبارك عنه كما في الزهد لابن المبارك (١٢٦/٢) وفي مسند أحمد (١٤٦٧).

(١٣٦) الطبراني في المعجم الكبير (١٠٣٢١) وفي الأوسط (٩١٥) وقال الهيثمي في المجمع (٤١٢/١٠) : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُ ابْنِ مَسْعُودٍ صَحِيحٌ.

قال تعالى: ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾ [الرحمن:٥٤]

وقال تعالى ﴿**وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ** ﴾ [الواقعة:٣٤]

وهذا يدل على أمرين:

١- أن ظاهرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظاهرها للجمال والزينة كما قال ابن مسعود: هذه البطائن قد خبركم بها فكيف بالظهائر ؟

٢- يدل على أن الفرش العالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.

- **أما البسط والزرابي**

قال تعالى ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾ **[الرحمن:٧٦]**

وقال تعالى ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٣-١٥]

النمارق : هى الوسائد، وهى مصفوفة بعضها إلى بعض

أما الزرابي: فهى البسط والطنافس

ومبثوثة: مبسوطة منشورة

أما الرفرف: قيل هو الوسائد وقيل البسط

وقال ابن الأعرابي: الرفرف هاهنا طرف البساط

أما العبقري: قال ابن عباس: البسط والطنافس

أخي: تأمل كيف وصف الله الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه.

واختم بقصة آخر من يدخل الجنة

روى مسلم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا،

فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ،

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا،

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا،

فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى،

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا،

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا،

فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ،

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا،

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا،

قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا،

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟

قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ "،

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ،

قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ،

قَالَ: "مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ " (١٣٧)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين،

وأشهد أن سيدنا محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين،

أما بعد:

أيها الأحبة: اعلموا بأن نعيم الجنة ليس في خمرها ولا في حورها ولا في ريحانها إنما نعيم الجنة الحقيقي في النظر إلى وجه ربها

---

(١٣٧) أخرجه مسلم (١٨٧)

قال تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]

وفي صحيح مسلم من حديث صهيب عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "**(١٣٨)

نعم يا أهل الجنة هذا هو ربكم الذي هو صليتم له وصمتم له وتصدقتم ابتغاء مرضاته اليوم أباح لكم النظر إلى وجهه الكريم .

عباد الله: أهل الجنة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، هم أهل المحافظة على الصلوات، هم أهل قيام الليل، هم أهل البر والصلة والصدقة.

أهلها المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، واقرءوا أول سورة المؤمنون.

أهلها من أطاع الله ورسوله فحققوا التوحيد، وأصلحوا العمل، واتبعوا المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً**﴾ [الفتح:١٧]

وقال صلى الله عليه وسلم مبيناً أهلها: **"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى!** قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟

لا يتصورون أن هناك إنسان يأبى ذلك

قالوا ومن يأبى؟

قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".**

---

(١٣٨) أخرجه مسلم (١٨١)

أهلها من راقبوا الله جل وعلا في كل حركة من حركاتهم وسكناتهم ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾ [المجادلة:٧]

عباد الله: يجب أن نستشعر هذا.

ألا أن سلعة الله غالية! ألا إن سلعة الله الجنة! هبت رياح الجنة فاغتنموها لتفوزوا بنعيمها: ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [آل عمران:١٨٥]

ألا فالسباق السباق! ألا فالبدار البدار!

جددوا السفن فإن البحر عميق، وأكثروا الزاد فإن السفر طويل، وخففوا الحمل فإن العقبة كئود: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد:٢١].

﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور:٣١].

عباد الله: هل من مشمر للجنة؟

قولوا: نحن إن شاء الله .

الدعاء

اللهم إنا نسألك جنتك ونعوذ بك من نارك، اللهم إنا نسألك جنتك ونعوذ بك من نارك، اللهم إنا نسألك جنتك ونعوذ بك من نارك.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة إنك غفور رحيم، وبالإجابة جدير.

اللهم إنا نسألك من فضلك الكريم، اللهم اجعل هذا الجمع جمعاً مغفوراً له، وإذا مشى كنت معه بسمعك وبصرك وأنت الله لا إله إلا أنت.

اللهم لا تعذب عينا بكت اليوم من خشيتك ، ولا تعذب قلبا خشع لعظمتك.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك والمضطهدين في دينهم في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم يا قوي يا عزيز،

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان وهيئ لهم من أمرهم رشداً، وألف بين قلوبهم، واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء، والربا والزنا، والزلازل والمحن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن يا ذا الجلال والإكرام!

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم الكلامُ وربنا محمودُ ... وله المكارم والعلى والجودُ

وعلى النبي محمدٍ صلواتُه ... ما ناح قُمْري وأورق عودُ

كتبه الراجي عفو ربه

محمد مختار الباقوري

المؤلف في سطور

١- محمد مختار محمود عبد الرحمن الباقوري، الأزهري نشأة الحنبلي مذهبا
٢- حفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره
٣- التحق بالأزهر الشريف وحصل على الثانوية الأزهرية عام ٢٠٠٢م
٤- حصل على بكالوريوس العلوم والتربية جامعة الأزهر بتقدير جيد جدا
٥- حصل على ليسانس أصول الدين قسم الحديث وعلومه بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف
٦- يعمل حاليا مدرسا بالأزهر الشريف
٧- حصل على دبلوم في الدراسات العليا من قسم الحديث وعلومه جامعة الأزهر بتقدير جيد جدا
٨- حصل على الماجستير قسم الحديث وعلومه جامعة الأزهر بتقدير ممتاز وكانت رسالته تحت عنوان: "غاية الإحكام في أحاديث الأحكام لمحب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤هـ من: ذكر وقت تفسير الرؤيا، إلى: آخر ذكر صلاة الاستخارة

مؤلفاته

١- الروضة الندية في الخطب المنبرية
٢- عون الرحمن في وصف الجنان
٣- داعية وطاغية (موسى وفرعون)
٤- تأملات قرآنية مع سورة "ق" المكية
٥- تيسير الكريم المنان شرح السبع المثان

وتحت الإعداد:

١- الروض الباسم في تراجم شيوخ الإمام ابن أبي عاصم
٢- فلق الإصباح في تخريج أحاديث مختار الصحاح
٣- القول الأسد في من مات من أهل العلم والأدب قبل أن يبلغ الأشد